المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،أما بعد:

فإن الإسلام دين يدعو إلى أقوم محجة، ويرمي إلى أشرف غاية.

وما دعوته إلا هداية الناس إلى سبيل الحق، وتنبيههم إلى مكان الفضيلة.

وما غايته إلا أن يحيا الناس حياة طيبة في العاجل، ثم يفوزوا في الآخرة بسعادة خالدة، وعطاء غير مجذوذ في الآجل.

وللحق نور باهر، وللفضيلة جمال ساحر، ولكنَّ النفوسَ الناشئةَ في بيئة خاسرة، أو الغارقةَ في أهواء سافلة يقف أمامها الحقُّ فتخاله باطلاً، وتتعرض لها الفضيلةُ فتحسبها شيئاً منكراً؛ فلا يكفي في دعوة الحق أن يطرق الداعي بها المجالس، ويصدع بكلمة الحق من غير أن يشدَّ أزرها بالحجة، ويتخير لها الأسلوب الذي يجعلها مألوفةً للعقول، خفيفةَ الوقع على الأسماع.

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن الدعوة الصادقة لا يثبت أصلها، وتمتد فروعها، وتؤتي ثمرها إلا أن يقوم بناؤها على أساس الحجة، ويذهب بها الداعي كل مذهب حكيم، ويأخذ فيها بكل أدب جميل.

وشواهد ذلك في القرآن كثيرة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ **النحل:125.**

وكذلك دعوة النبي " إلى الإسلام؛ فإنها كانت

محفوفة بما يقرب العقول إلى قبولها، وتألف النفوس إلى سماعها؛ فكان " يراعي في إبلاغها الطرق الكفيلة بنجاحها؛ فيورد لكل مقام مقالاً يناسبه، ويكسو كل معنىً من المعاني ثوباً يليق به، ويخاطب كل طائفة على قدر عقولهم، ويلاقيهم بالسيرة التي هي أدعى إلى إقبالهم، وأسرع أثراً في صرفهم عن غوايتهم.

ولا ريب أن الوعظ عمل جليل، وله _في نظر الشارع_ مقام رفيع.

فالوعظ هو الدعوة إلى ما فيه خير وصلاح، والتحذير مما فيه شر وفساد.

والواعظ هو الذي يرشد الجاهلين، وينبه الغافلين، ويعالج النفوس الطائشة مع أهوائها؛ ليعيدها إلى فطرتها السليمة من الإقبال على الفضائل، والترفع عن الرذائل.

ولكنَّ القيامَ بهذا العمل جهادٌ يحتاج إلى ألمعيَّة مهذبة، ودراية بالطرق الحكيمة، علاوة على العلم الذي يُميِّز به بين الحق والباطل، ويفرَّق به بين المعروف والمنكر.

ثم إن العلم والنباهة، وحكمة الأسلوب لا تأتي بثمرتها المنشودة إلا أن يكون الواعظ طيب السريرة، مستقيم السيرة.

هذه هي آداب الموعظة، وأدواتها على سبيل الإجمال.[1]

أما تفصيل ذلك فسيأتي في ثنايا الصفحات التالية _إن شاء الله_.

---

[1] _ انظر إلى كتاب: محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 110_111، وكتاب الدعوة إلى الإصلاح ص64_ 65، وكلاهما للشيخ محمد الخضر حسين.

وسيلحظ القارئ الكريم أن بعض تلك الآداب داخل في بعض، وأن بعض الآثار يصلح إيراده في أكثر من موضع؛ فلهذا قد يُجْمل الكلام في موضع، ويُفَصَّلُ في موضع آخر.

ثمَّ إن تلك الآدابَ شاملة لأدب الواعظ في نفسه، وأدبه في موعظته، وطريقة عرضه.

وقبل الدخول في تفصيل تلك الآداب يحسن الوقوف على تعريف المِوعظة، ووروودها في القرآن، وبيان مقاصدها وحِكَمِها.

فعسى أن تكون تلك الصفحات نافعة مباركة، وأن يكتب الله لها القبول، ولصاحبها الإصابة والإخلاص؛ إنه سميع قريب، والله المستعان وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن إبراهيم الحمد
5/8/1423
الزلفي 11932
ص.ب: 460
www.toislam.org

***

تعريف الموعظة

الموعظة في اللغة: مصدر الفعل وَعَظ.

قال ابـن فـارس × :=الـواو والعيـن والظـاء كلمـة واحدة؛ الوعظ التخويف، والعِظة الاسم منه+[1]

وقال ابن منظور ×:=الوعظ والعظـة والموعظـة: النصح والتذكير بالعواقب.

قال ابن سيدة: هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب+. [2]

وقــال الراغــب الأصــفهاني × :=الــوعظ زجــرٌ مقترنٌ بتخويف،قال الخليل: هو التذكير بـالخير فيمـا يرق له القلب+. [3]

***

[1] _ معجم مقاييس اللغة لابن فارس 6 /126.
[2] _ لسان العرب لابن منظور 7 /466.
[3] _ معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص 564.

ورود الموعظة في القرآن الكريم ()

(1)

ورد لفظ الموعظة في القرآن على ثلاثة عشر وجهاً، وهي كما يلي:

1_ أوَعظت 2_ أعظك 3_ أعظكم 4_ تَعظون 5_ يعظكم
6_ يعظه 7_ عِظهم 8_ فعظوهن 9_ توعظون 10_ يوعظ
11_ يوعظون 12_ الواعظين 13_ موعظة.

وإليك الآيات التي وردت في ذلك:

قـال اللـه _تعـالى_: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **الشعراء:136.**

وقـــال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **هود:46.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **سبأ:46.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **الأعراف:164.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **البقرة:231.**

وقـال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **النساء:58.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **النحل:90.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **النور:17.**

وقـال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **لقمان:13.**

---

[1] _ انظر المعجم المفهرس لألفـاظ القـرآن الكريـم لمحمـد فـؤاد عبدالباقي ص 923.

وقال: ﴿ ﴾ **النساء:63.**

وقال: ﴿ ﴾ **النساء:34.**

وقـال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **المجادلة:3.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **البقرة:232.**

وق ال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **الطلاق:2.**

وقـال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **النساء:66.**

وقال: ﴿ ﴾ **البقرة:66.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **البقرة:275.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **آل عمران:138.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **المائدة:46.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **الأعراف:145.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **يونس:57.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **هود:120.**

وقال: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ **النحل:125.**

وقال: ﴿ ﴾

النور:34.

***

مقاصد الموعظة وحكمها

الموعظة باب من أبواب الدعوة إلى الله، وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ويحسن ههنا إيراد مقاصد الموعظة وحكمها؛ حتى لا يُظن أنها شرعت لمصلحة معينه فإذا فاتت تلك المصلحة ظُنَّ أن الموعظة لم تؤتِ ثمرتها.

ويمكن إجمال تلك المقاصد والحكم بما يلي: [1]

1_ إقامة حجة الله على خلقه: كما قال _تعالى_: ﴿ ﴾ **النساء:165.**

2_ الإعذار إلى الله _عز وجل_ والخروج من عهدة التكليف: قال الله _تعالى_في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت: ﴿ ﴾ **الأعراف:164.**

وقال _عز وجل_: ﴿ ﴾ **الذاريات:54.**

3_ رجاءُ النفع للمأمور: كما قال _تعالى_: ﴿ ﴾ **الأعراف:164.**

وقال _عز وجل_: ﴿ ﴾ **الذاريات:55.**

4_ رجاء ثواب الله _ عز وجل _: إذ الدعوة باب عظيم من أبواب البر.

5_ الخوف من عقاب الله _تبارك وتعالى_: إذ إنَّ تَرْكَ الدعوة مُؤذن بالعقوبة.

---

[1] _ انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب 2 / 255، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي 2 / 176.

قـال اللـه _تعـالى_: ﴿ ... ﴾ **المائدة:54.**

وقـال: ﴿ ... ﴾ **محمد: 38.**

6_ النصيحة للمؤمنين: والرحمة بهـم، ومحبـة الخيـر لهم، والرغبة في إنقاذهم مما أوقعوا به أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وهذا قريب من الثالث.

7_ إجلال الله وإعظامه، ومحبته: وأنه أهلٌ لأن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشـكر فلا يُكفـر، وأن يُفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.

***

أدب الموعظة

الـوعظ عمـل جليـل _كمـا مـر_ والنـاس بحاجـة ماسة إليه، والقائمون بالوعظ بحاجة إلى ما يذكرهم بنبـل غـايتهم، والسـبل المعينـة لهـم علـى القيـام برسالتهم.

وقد مضى في المقدمة إجمـال لآداب الموعظـة، وفيما يلي تفصيلها.

1_ التحلـي بـالتقوى وإخلاص النيـة: وذلـك أمـر يستمده الواعظ من قوة الإيمان بأن اللـه يعلـم مـا يُسِرُّ الناس وما يعلنـون، ومِـنْ عِلْمِـه بـأن الإخلاص علَيه مدار العمل، ومن تَيَقُّنِه بأن دعـوته إلـى فعـل شـيء هـو تـاركه أو إلـى تـرك شـيء هـو يفعلـه _لاتتجاوز الآذان إلـى القلـوب، بـل قـد تـذهب كمـا يذهب الزبد جفاءًا.

وقد أشار القرآن المجيد إلى أن داعي النـاس إلـى معـروف لايفعلـه جـدير بالتوبيـخ، قـال _تعـالى_: ﴿ ﴾ **البقرة:44.**

وقـال _عـز وجـل_: ﴿ ﴾ **الصف.**

والتقوى هي الـتي تجعـل الـواعظ مخلصـاً فيمـا يأمر به، أو ينهى عنه.

وللإخلاص أثر كبير في نجاح الموعظـة،وانشـراح الصدور للانتفاع بها على أي حال.

والتقوى الصادرة عن التفقه في الـدين بحـق هـي الـتي تكسـو الـواعظ وقـاراً، وحسـنَ سـمتٍ غيـر

مصـطنع، فتمتلـيء القلـوب بمهـابته؛ فـإذا ألقـى موعظةً ذهبت توّاً إلى القلوب، وأثمرت كَلِماً طيباً، وعملاً صالحاً، وخلقاً فاضلاً.

ولهـذا يحسـن بـالواعظ أن يتعاهـد إيمـانه، ويُعِـزَّ نفسه، ويصونَ علمـه، وأن يـترفع عـن السفاسـف، وأن يجانب مواطن الرِّيب، ومواضعَ المهانـة، وأن لا يسـير إلا علـى مـا يمليـه الـدين، وتقتضـيه الحكمـة والمروءة.

وجدير به أن يكون ذا نفس زكية، وساحة طاهرة نقية؛ حتى لا يكـون الخلـل حـائلاً بينـه وبيـن هدايـة الناس.

ولا يعني ذلك أن يكـون معصـوماً مـبرأً مـن كـل عيب؛ إذ هو بشر، وما كان لبشر أن يدعي العصمة، أو الصـواب فيمـا يقـول، ويفعـل إلا الأنبيـاء فيمـا يبلغون به عن ربهم _جل وعلا_.

ولا يفهم من ذلك _أيضاً_ أن يَدَعَ الإنسانُ الوعظَ إذا كان مقصِّراً في بعض الطاعات، أو مُلِمَّاً ببعـض المخالفات.

بل عليه أن يأمر وينهى ولـو كـان كـذلك؛ فـترك أحد الواجبين ليس مسوغاً لترك الآخر.

إذا لم يعظ فـي النـاس فمن يعظ العاصين بعد
مـــن هـــو مـــذنبٌ محمـــــــــــــد

قـال الحسـن لمطـرف بـن عبـدالله _رحمهمـا الله_: =عِظْ أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول مالا أفعل.

قال الحسن: يرحمك الله، وأيُّنـا يفعـل مـايقول؟ يـود الشـيطان لـو ظفـر منـا بهـذا؛ فلـم يـأمر أحـد

بمعروف، ولم ينه أحد عن منكر+.[1]

وقال سعيد بن جبير ×: =لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء _ما أمر أحد بمعروف، ولا نهى عن منكر+.[1]

قال الإمام مالك ×معلقاً على مقولة سعيد بن جبير: =وصدق سعيد؛ ومن ذا الذي ليس فيه شيء+.[2]

وقال الطبري ×: =وأما من قال: لا يأمر بالمعروف إلا من ليست فيه وصمة فإن أراد الأوْلَى فجيِّد، وإلا فيستلزم سدَّ باب الأمر بالمعروف إذا لم يكن هناك غيره+.[3]

وقال ابن حزم ×: =ولو لم ينه عن الشر إلا من ليس فيه شيء منه، ولا أمر بالمعروف إلا من استوعبه لما نهى أحد عن شر، ولا أمر أحد بخير بعد النبي "+.[4]

وقال النووي ×: =قال العلماء: لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه.

بل عليه الأمر وإن كان مُخِلاً بما يأمر به، وإن كان متلبساً بما ينهى عنه؛ فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه، وينهاها، وأن يأمر غيره وينهاه؛ فإذا أخلَّ بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟+.[5]

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي × بعد أن

---

[1] _2 تفسير القرطبي 1/367.
[2] _ تفسير القرطبي 1/367.
[3] _ فتح الباري لابن حجر 13 / 53.
[4] _ الأخلاق والسير لابن حزم ص 92.
[5] _ شرح صحيح مسلم للنووي 2 / 23.

ساق بعض الآثار الواردة في ذم من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويرتكبه: =واعلم أن التحقيق أن هذا الوعيد الشديد الذي ذكرنا من اندلاق الأمعاء في النار، وقرض الشفاه بمقاريض من النار ليس على الأمر بالمعروف، وإنما هو على ارتكاب المنكر عالماً بذلك، ينصح الناس عليه؛ فالحق أن الأمر غير ساقط عن صالح ولا طالح، والوعيد على المعصية لا على الأمر بالمعروف؛ لأنه في حد ذاته ليس فيه إلا الخير+. [1]

ولا يفهم مما سبق أنه لا بأس على الواعظ في ترك المعروف، وفعل المنكر، بل يجب عليه فعل المعروف، وترك المنكر، بل يجب عليه أن يكون أول ممتثل لما يأمر به، وأول منتهٍ عما ينهى عنه.

2_ العلم: فَعِلْم الواعظ بما يقول هو الذي يجعل الموعظة نقيةً من إيراد الأحاديث الموضوعة، أو القصص المنبوذة، أو تحسين البدع، أو إضلال الناس.

قال الله _عز وجل_: ﴿ ﴾ **يوسف:108.**

فلا بد للواعظ أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه من فعل أو ترك.

وأن يكون عالماً بحال المدعو، ولهذا لما بَعَثَ الرسول " معاذاً ÷ إلى اليمن قال: =إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب+ الحديث. [2]

وما ذلك إلا ليعرف حالهم؛ ليستعد لهم.

ومن البصيرة _أيضاً_ أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة، وأساليبها.

---

[1] _ أضواء البيان 2 / 173.

[2] _ رواه البخاري (1458) و(1496) و (7331)، ومسلم (19)

ولا يفهم من ذلك أنه لابد للواعظ ان يكون عالماً متبحراً، وإنما المقصود ألا يدعو إلا بما يعلم، وألا يتكلم بما لا يعلم. [3]

قال النبي ": =بلغوا عني ولو آية+. [1]

ومما يتعين على الواعظ معرفته والوقوف عليه _النظر في المصالح والمفاسد.

وسياتي بيانٌ وتفصيلٌ لذلك في الصفحات التالية.

3_ لين الجانب، وبسط الوجه، والإحسان إلى الناس: فالناس يحبون لِين الجانب، وبسط الوجهِ، والقلوب تُقْبِلُ على من يتواضع لها، وتنفر ممن يزدريها، ولا يُكَلِّمها إلا من عَلُ.

ومن الوسائل التي لها أثر في تَأَلُّف الجاهلين أو المفسدين،وتهيئتهم إلى قبول الإصلاح _ بسط المعروف في وجوههم، والإحسان إليهم بأي نوع من أنواع الإحسان، وإرضاؤهم بشيء من متاع هذه الحياة الدنيا؛ فإن مواجهتهم بالجميل، ومصافحتهم براحة كريمة _ قد يعطِّف قلوبهم نحو الداعي، ويمهد السبيل لقبول ما يَعْرِضُه من النصيحة.

والنفوس مطبوعةٌ على مصافاة من يُلبسها نِعْمةً، ويُفيضُ عليها خيراً.

ولمثل هذه الحكمة ذكر الله في القرآن من مصارف الزكاة صِنْفَ المؤلفة قلوبُهم.

وكان النبي" يُؤثِرُ بعض حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال؛ للاحتفاظ ببقائهم على الهداية، يفعل ذلك حيث يظهر له أن إيمانهم لم يرسخ في قلوبهم رسوخَ ما لا تزلزله الفتن.

---

[3] _ انظر الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات للشيخ محمد بن عثيمين ص 26 _ 31

[1] _ البخاري (3461).

وإلى أمثال هؤلاء أشار ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله: =إني لأعطي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه؛ خشية أن يكبَّه الله في النار+. [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ×: =كما كان إعطاؤه " المؤلفة قلوبهم مأموراً به في حقه وجوباً أو استحباباً، وإن لم يكن مأموراً به لأحد.

كما كان مزاحه مع من يمزح معه من الأعراب والنساء والصبيان؛ تطييباً لقلوبهم، وتفريحاً لهم ـ مستحباً في حقه يثاب عليه وإن لم يكن أولئك مأمورين بالمزاح معه، ولا منهيين عنه.

فالنبي " يبذل للنفوس من الأموال والمنافع ما يتألفها به على الحق المأمور به، ويكون المبذول مما يلتذ به الآخذ ويحبه؛ لأن ذلك وسيلة إلى غيره+. [2]

ولهذا يحسن بالواعظ أن يكون ليِّن العريكة، وممن يَأْلَفُ ويُؤْلَفُ، وألا يكون جافي الطبع، قاسي القلب، متعالياً على السامعين.

ويجدر به أن يترفع عن العبارات المشعرة بتعظيم النفس، كحال من يكثر من إدارج ضمير المتكلم (أنا) أو ما يقوم مقامه كأن يقول (في رأيي)، أو (حسب خبرتي)، أو (هذا ما توصلت إليه) ونحو ذلك.

وأَجْدَر بالبعد عن ذلك ما كان فيه تفخيم للنفس كالإتيان بضمير الجمع، كأن يقول: (هذا رأينا) و (هذا ترجيحنا)، أو (هذا ما توصلنا إليه).

ومن ذلك أن يكرر كلمة: (نَقُول) و(قلنا)، ونحو ذلك من العبارات الفجة التي تنم عن نقص وغرور،

---

[1] ـ رواه البخاري (27 و 1478)، ومسلم (150).
[2] ـ الاستقامة لابن تيمية 2/155.

خصوصاً إذا صدرت ممن ليس له مكانة.

فهذا كله مجلبة لتباعد الأنفس، وتناكر الأرواح، وقلة التأثير.

وبدلاً من ذلك يحسن به أن يستعمل الصيغ التي توحي بالتواضع، وعزو العلم لأصحابه، كأن يقول: (ويبدو للمتأمل كذا وكذا)، أو يقول: (ولعل الصواب أن يقال: كذا وكذا) ونحو ذلك من العبارات المشعرة بالتواضع، واهتضام النفس.

قال ابن المقفع: =تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب، وطبْ نفساً عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ مداراةً؛ لئلا يظن أصحابك أن دأبك التطاول عليهم+. [1]

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي ×: =واحذر غاية الحذر من احتقار من تجالسه من جميع الطبقات، وازدرائه، أو الاستهزاء به قولاً، أو فعلاً، أو إشارةً، أو تصريحاً، أو تعريضاً؛ فإن فيه ثلاثة محاذير:

أحدهما: التحريم والإثم على فاعله.

الثاني: دلالته على حمق صاحبه، وسفاهة عقله، وجهله.

الثالث: أنه باب من أبواب الشر، والضرر على نفسه+. [2]

4_ الصبر والحلم: فالواعظ محتاج لذلك أشد الحاجة؛ إذ هو مُعَرَّضٌ لما يثيره، ويحرك دواعي الغضب فيه.

ومن مواعظ لقمان _عليه السلام_ لابنه وهو يعِظه:[□□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□] **لقمان: 17.**

---

[1] _ الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ص 134.

[2] _ الرياض الناضرة لابن سعدي ص 419.

فلا يحسن بالواعظ أن يكون ضيِّق الصدر، قليل الصبر؛ ذلك أن الجماعات التي استشرى فيها الفساد كالمريض، والواعظ لها كالطبيب.

وكما أن المريض قد يدفعه جهله، أو سوء تصرفه إلى أن ينال الطبيب ببعض السوء _فكذلك الجماعات التي أنهكها الشر، واستحوذ عليها الشيطان؛ فقد يدفعها ذلك أن تنال طبيب الأرواح ببعض الأذى.

فإذا ضاق صدره، وقل احتماله تنغَّصت حياته، ولم يصدر عنه خير كثير، أو عمل كبير؛ فخير للواعظ _إذاً_ أن يتلقى الأذى بصدر رحب، وأفق واسع، ونفس مطمئنة.

وليعلم أن مهمته شاقة؛ فليستعد لها بالاستعانة بالله، وليداوِ كُلُومَ النفوس بالهدوء، وسعة الصدر، ولين الجانب، ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ فإن تلك الصفاتِ رُقْيَةُ النفوس الشرسة، وبلسمُ الجراح الغائرة.

وليستحضر أنه ما وقف أمام الناس ليخاصمهم؛ فَيَخْصِمَهم، ولكنْ ليداويَ فسادهم، ويردَّ شاردهم؛ فليحرص على أن يؤلف القلوب والنفوس بتلك الصفات.

قال الله _تعالى_ في وصف نبينا محمد " :

 آل عمران:159.

وقال الله _عز وجل_ له:
 الأعراف:199.

وهكذا كان _عليه الصلاة والسلام_ فكان يعرض دعوته في لين من القول، وكان يأخذ بالحلم، والصبر، ويقابل الجاهل بالإعراض، والمسيء

بالعفو أو الإحسان.

وإن أذىً كثيراً كان يلحقه من مشركي قريش وسفهائهم؛ فيلقاه بالصبر، ولا ينال من عزمه واسترساله في الدعوة ولو شيئاً قليلاً.

وكم من كلمة يرميه بها بعض المنافقين، أو بعض الجفاة من الأعراب، فيكون جزاؤها الصفح، أو التبسم، أو الإنعام. [1]

فإذا كان الواعظ على هذا النحو من المكارم أثمر وعظه، وحاز من العلياء كل مكان.

كان عمر بن عبدالعزيز × يتمثل بهذه الأبيات:

الحلم والعلم خَلَّتا كرمٍ ... للمرء زينٌ إذ هما اجتمعا

صنوانِ لا يَسْتَتِمُّ حسنُهما ... إلا بجمع بذا وذاك معا

كم من وضيع سما به علم ... فحاز السناء والحلما

وارتفع الدنيء بالحلم ... وأخمله ما أضاع فاتضعا [2]

5_ التجمل والعناية بالمظهر بلا إسراف: فهذا _وإن لم يكن من الصفات التي تقوم عليها الخطابة _ أمرٌ يحسن العنايةُ به؛ لأنه مطمح الأنظار.

والنظر يفعل بالقلب ما يفعله الكلام في السمع؛ فهو من هذه الناحية لا ينقص اعتباره عن اعتبار الصفات الأصلية؛ فيحسن بالواعظ أن يراعي ذلك، وأن يعتني بمظهره، وطيب رائحته، وما شاكل ذلك.

---

[1] _ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 113، والخطابة لأبي زهرة ص 161 _ 162.

[2] _ الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز للملاء، تحقيق د/ محمد البورنو 2 / 594.

قال ابن حجر المكي × في معرض حديث له عن الرياء: =وقد يطلق الرياء على أمر مباح، وهو طلب نحو الجاه والتوقير بغير عبادة، كأن يقصد بزينة ثيابه الثناء عليه بالنظافة والجمالة، ونحو ذلك+.

إلى أن قال: =وهذا مما تستمال به القلوب؛ إذ لو سقط من أعينهم لأعرضوا عنه؛ فلزمه أن يظهر لهم محاسنه؛ لئلا يزدروه؛ فيعرضوا عنه؛ لامتداد أعين عامة الخَلْق إلى الظواهر دون السرائر؛ فهذا قصده " وفيه قربةٌ أيُ قربة، ويجري ذلك في العلماء ونحوهم إذا قصدوا لتحسين هيئتهم+.[1]

فالتجمل والعناية بالمظهر_إذاً_ أمر حسن؛ فالله_عز وجل_ جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

قال _عز وجل_: ﴿ ﴾ **المدثر: 4.**

وقال النبي ": =إن الله جميل يحب الجمال+.[2]

وإنما المحذور هو المبالغة في التجمل، وصرف الهمة للتأنق، واشتداد الكَلَف بحسن البزة؛ فهذا مما يقطع عن إصلاح النفس، ويدل على نقص الإنسان.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ÷: =إياكم لبستين: لبسةً مشهورةً، ولبسة محقورة+.[3]

وقال بعض الحكماء: =البس من الثياب ما لا يزدريك العظماء، ولا يعيبك الحكماء+.[4]

وقال الماوردي ×: =واعلم أن المروءة أن

---

[1] _ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي 1 / 44، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي 3/300، والخطابة ص47.

[2] _ رواه مسلم (91).

[3] _ أدب الدنيا والدين للماوردي ص354.

[4] _ أدب الدنيا والدين ص 355.

يكون الإنسان معتدل الحال في مراعاة لباسه من غير إكثار ولا اطراح؛ فإن اطراح مراعاتها، وترك تفقُّدها مهانةٌ وذلةٌ، وكثرة مراعاتها وصرف الهمة إلى العناية بها دناءة ونقص.

وربما توهم من خلا من فضل، وعَرِي من تمييز أن ذلك هو المروءة الكاملة، والسيرةَ الفاضلة؛ لما يرى من تميزه على الأكثرين، وخروجه عن جملة العوام والمسترذلين.

وخفي عليه أنه إذا تعدى طوره، وتجاوز قدره كان أقبح لذكره، وأبعث على ذمه+. [1]

وخلاصة القول أن الشارع قد فوضَّ في أمر اللباس إلى حكم العادة، وما يليق بحال الإنسان؛ فإذا جرت العادة بلبس نوع من الثياب، وكان مستطيعاً له، فعدل عنه إلى صنف أسفل منه أو أبلى _قبح به الحال، وكره له؛ لأن بذاذة اللباس، ورثَّتَهُ مما تقذفها العيون، وتنشز عنها الطباع، فتَلقي بصاحبها إلى الهوان، والالتفات إليه بألحاظ الازدراء.

وهذه الحال لا تليق بالواعظ؛ إذ هو صاحب حق، وداعية هدى؛ فلا يحسن به أن يخذل الحق الذي يحمله، والهدى الذي يدعو إليه.

وأما الخروج عن المعتاد، والتطلع إلى ماهو أنفس وأغلى فمرفوض _كما مر_ قال المعري:

وإن كان في لبس الفتى شرفٌ له ... فما السيف إلا غمده والحمائل [2]

بل تجد أكثر الناس يَسْتَخِفُّون بمن يتعدى طور

---

[1] _ أدب الدنيا والدين ص 354.

[2] _ شرح ديوان سقط الزند للمعري ص 57.

أمثاله في ملبسه، ويعدونه سفهاً في العقل، وطيشاً مع الهوى.[1]

قال الخطيب البغدادي ×: =وكما يكره لبس أدْوَن الثياب فكذلك يكره لبسُ أرفعها؛ خوفاً من الاشتهار بها، وأن تسمو إليه الأبصار فيها+[2]

6_ استعمال المداراة والبعد عن المداهنة: فالمداراة من أخلاق المؤمنين والمداهنة من صفات المنافقين، والواعظ يحتاج إلى الأخذ بالأولى، والبعدِ عن الثانية.

وكثيراً ما يشتبه عند كثير من الناس هذان الخلقان؛ ذلكم أن حدود الفضائل تقع بمقربة من أخلاق مكروهة.

وهذه الحدود في نفسها واضحة جلية، إلا أن تمييز ما يدخل فيها مما هو خارج عنها يحتاج إلى صفاءٍ فطرةٍ، أو تربيةٍ تساس بها النفسُ شيئاً فشيئاً.

وكثيراً ما يتشابه على الرجل لأول النظر أمور؛ فلا يدري أهي داخلة في الفضيلة، أم هي خارجة عن حدودها؟

وربما سبق ظنه إلى غير صواب؛ فيخال ماهو من قبيل الفضيلة مكروهاً فيدعه، أو يعيب به غيره، أو يخال ما هو من قبيل المكروه فضيلة فيرتكبه، أو يمدح غيره عليه.

وهذا الشأن يجري في كثير من الأخلاق ومن ذلك

---

[1] _ انظر مناهج الشرف للشيخ محمد الخضر حسين ص 50 _ 51.

[2] _ الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع للخطيب البغدادي ص 382.

كما مر خلق المداراة؛ إذ يشتبه بالمداهنة مع أنه يمتاز عنه امتياز الصبح من الدجى. [1]

وبما أن الحديث عن الموعظة وآدابها، وبما أن المداراة خلق فاضل يحتاجه العاقل في حياته، وأن المداهنة خلق دنيء يزري بصاحبه، وينزل به إلى دَرْك وسقوط _ فإن معرفة المداراة وتمييزها عن المداهنة من الأهمية بمكان؛ حتى يسلك العاقل طريق المداراة، وينأى بنفسه عن المداهنة.

ولاريب أن الواعظ من أحوج الناس إلى ذلك؛ إذ هو يلاقي الناس، ويخالطهم، ويَعْرِض عقله كثيراً أمامهم؛ فهو محتاج إلى مُدَاراة الناس عموماً، ومُداراة زَمانه، ومُداراة مخالفيه.

=بعض معالم المداراة:+

ومما يمكن أن يُمَيَّز به بين هذين الخلقين أن تُذْكَر بعض المعالم لكل منهما، وهذه _أولاً_ بعض معالم المداراة.

ا _ المداراة ترجع إلى حسن اللقاء وطيب الكلام، والتودد للناس، وتجنب ما يشعر بغضب أو سخط، كل ذلك من غير ثلم للدين في جهة من الجهات.

قال ابن بطال × =المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك أقوى أسباب الألفة+.[2]

ب _ من المداراة أن يلا قيك ذو لسان، أو قلم

---

[1] _ انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين 1/124.

[2] _ فتح الباري 10/545.

عرف بنهش الأعـراض، ولَمْـزِ الأبريـاء، فتُطْلِـقَ لـه جبينك، وتحييه في حفاوة؛ لعلَّك تحمـي جانبـك مـن قذفه، أو تجعل لدغاتِه خفيفةَ الوقع على عرضك.

جاء في الصحيحين عن عروة عن عائشة _رضي الله عنها_ أن رجلاً اسـتأذن علـى النـبي " فلمـا رآه قال:=بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة+.

فلما جلس تطلَّق النبي _صلى الله عليه وسـلم_ فـي وجهـه، وانبسـط إليـه، فلمـا انطلـق قـالت لـه عائشة: يا رسول الله! حين رأيـت الرجـل قلـت لـه: كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه، وانبسطت إليه؟

قـال رسـول اللـه " =يـا عائشـةُ! مـتى عهـدتِّني فحَّاشاً؟ إن شر الناس عند اللـه منزلـةً يـوم القيامـة من تركه الناس؛ اتقاء شره+

وفي روايـة =مـن تركـه النـاس، أووَدَعَـهُ النـاس؛ اتقاء فحشه+.[1]

فلقاء رسول الله " لهذا الرجـل المعـروف بالبـذاء من قبيل المداراة؛ لأنه لم يـزد علـى أن لاقـاه بـوجه طلق، أو رَفَقَ به في الخطاب.

وقد سبق إلى ذهن عائشة _رضـي اللـه عنهـا_ أن الذي بلغ أن يقال فيه =بئس أخـو العشـير ة، وبئـس ابن العشيرة+ لا يستحق هذا اللقاء، ويجب أن يكون نصيبُه قسوةَ الخطاب، وعبوسَ الجبين.

ولكنَّ نَظَرَ رسولِ الله " أبعدُ مَدَىً، وأناته أطـول أمداً؛ فهو يريد تعليم الناس كيـف يملكـون مـا فـي أنفسـهم؛ فلا يَظْهَـر إلا فـي مكـان أو زمـان يليـق

---

[1] _ البخاري (6032) و(6054) و(6131)، ومسلم (2591).

إظهاره فيه.

ويريد تعليمهم أدباً من آداب الاجتماع، وهو رِفْقُ الإنسان بمن يقصد إلى زيارته في منزله، ولو كان شرَّه في الناس فاشياً.

على أن إطلاق الجبين لمثل هذا الزائر لا يمنع من إشعاره بطريق سائغ أنك غير راض عما يُشيعُه في الناس من أذىً، ولا يعوقك أن تعالجه بالموعظة الحسنة إلا أن يكون شيطاناً مريداً.

ج _ من المداراة مراعاة أعراف الناس، وعاداتهم ما لم تخالف الشرع: وهذا الأدب يتجلى عندما يعظ الإنسان في مكان غير المكان الذي عاش فيه وأَلِفه؛ فربما رَمَتْهُ الغربةُ في بلدٍ ما، فوجد خلائقَ أهلِ ذلك البلدِ وطباعَهم وعاداتهم على غير ما يألف؛ فيحسن به _والحالة هذه_ أن يراعي ما عليه أهل ذلك البلد، وأن يتجنب في وعظه منافرتهم، أو مخالفتهم فيما اعتادوا عليه؛ فذلك من جميل المعاشرة، ومن حسن المداراة.

فدارِهم ما دمت في دارهم ... وأرضِهم ما دمت في أرضهم

وكل ذلك مشروط بألا يكون في عاداتهم محذور شرعي؛ فإن كان ثَمَّ محذورٌ شرعيٌّ تعين تقديم الأمر الشرعي على كل عادة وعُرف مع مراعاة الأسلوب الأمثل في التنبيه على ما يخالف الشرع.

قال ابن حزم ×:=وإياك ومخالفة الجليس، ومعارضةَ أهل زمانك فيما لايضرك في دنياك، ولا في آخراك وإن قلَّ؛ فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة، والعداوة.

ربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلاً+.[1]

ولهذا ترك النبي " نقض الكعبة، مع رغبته في ذلك، وأن تكون على قواعد إبراهيم _عليه السلام_ وما منعه من ذلك إلا خشيةُ ألا تحتمله قريش؛ لقرب عهدهم بكفر.

قال _عليه الصلاة والسلام_: =يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدُهم بكفر لنقضت الكعبة؛ فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس، وبابٌ يخرجون+.

وفي رواية عن عائشة _رضي الله عنها_ قالت سألت النبي "عن الجَدْر أمن البيت هو؟

قال: =نعم+

قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟

قال: =إن قومك قَصُرَتْ بهم النفقة+

قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟

قال: =فعل ذلك قومك؛ ليدخلوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا.

ولولا أن قومك حديثٌ عهدهم بالجاهلية؛ فأخاف أن تنكر قلوبهُم أن أدخل الجَدْر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض+.[2]

د _ من المداراة الا يستسلم الواعظُ لعوارضه النفسية من حبٍّ وبغض، ورضاً وغضب، واستحسان واستهجان؛ إذ لو سار على أن يكاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أي حال _ لاختل الاجتماع، ولانقبضت الأيدي عن التعاون، ولشاعت البغضاء بين الناس؛

---

[1] _ الأخلاق والسير ص61.

[2] _ رواه البخاري (126) و (1584) و (1585)، ومسلم (1333).

فكان من حكمة الله في خلقه أن هيَّأ الإنسان لأدب يتحامى به ما يُحْدِثُ تقاطعاً، أو يـدعو إلـى تخـاذل؛ ذلـك هـو أدب المـداراة؛ فهـو ممـا يـزرع المـودة، ويجمع القلوب المتنافرة.

هـ _ من المداراة أن يلقى الواعظُ موعظةً أمـام ذي يدٍ باطشة، فيمنحـه جبينـاً طلقـاً، ويتجنـب فـي حديثه ما يثير ذلك الباطش.

وهذا محمل قول أبي الدرداء ÷ =إنا لَنَكْشُرُ في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لَتَلْعَنُهم+.[1]

وفي هذا الأثر شاهد علـى أن التبسـم فـي وجـه الظالم؛ اتقاء بأسه ضربٌ مـن المـداراة ولا يتعـداه إلى أن يكون مداهنة.

و _ المداراة ترجع إلى ذكـاء الشـخص وحكمتـه؛ فهو الذي يراعي في مقدارها وطريقتهـا مـا ينبغـي أن يكـون؛ ذلـك أن لأسـباب العـداوةِ مـدخلاً فـي تفاوت مقادير المداراة، واختلاف طرقها.

ز_ المداراة يُبتغى بها تأليفُ الناس في حدود مـا ينبغـي؛ فلا يُبْعِـدك عنهـا قضـاءٌ بالقسـط، أو لقـاء للنصيحة في رفق.

ح_ وبالجملـة فالمـداراة خصـلة كريمـة، يحكمهـا الأذكيـاء، ولا يتعـدى حـدودها الفضـلاء؛ فـالنفوس المطبوعة على المداراة نفـوس أدركـت أن النـاس

---

[1] _ أخرجـه البخـاري فـي صـحيحه معلقـاً فـي كتـاب الأدب =بـاب المداراة مع الناس+ بصيغة التمريض حيث قال =ويـذكر عـن أبـي الدرداء.....)

وله طرق أ خرجها الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق 5/102 وفي كل منها مقال، ولعل بعضها يشد بعضاً، فيكون السند حسناً لغيره.

خلقوا؛ ليكونوا في الائتلاف كالجسد الواحد، وشأن الأعضاء السليمة أن تكون ملتئمةً على قدر ما فيها من حياة، ولا تنكر عضواً ركِّب معها في جسد إلا أن يصاب بعلة يعجز الأطباء أن يصفوا لها بعدُ دواءًا.

=بعض معالم المداهنة:+

وبعد أن اتضحت بعض معالم المداراة يحسن أن توضِّح بعضُ معالم المداهنة؛ فأليك شيئاً من ذلك.

أ_ المداهنة هي إظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل أو عمل مكروه؛ فهي بلادةٌ في النفس، واستكانةٌ للهوى، وقبولُ ما لا يرضى به دينٌ، أو عقلٌ، أو مروءة.

ب_ المداهنة خلق قذر، لا يَنْحطُّ به إلا من قل في العلم وزنه، أو من نشأ نشأةَ صغارٍ ومهانة.

ج_ المهانة تضم بين جناحيها الكذب، وإخلاف الوعد، وقلة الحياء.

د_ من المداهنة أن يثنيَ الرجل على الرجل في وجهه، فإذا انصرف عنه أطلق لسانه في ذمه.

هـ_ من المداهنة أن يَدْخل الرجلُ على من يضطره الحال إلى الثناء عليه مع استغنائه عن الدخول عليه، ثم يبدأ بإطرائه ومدحه بما ليس فيه.

أما إذا اضطر الإنسان إلى الدخول على ذي قوة لا يخْلُص من بأسه إلا أن يسمعه شيئاً من المديح _فهو في سعة أن يمدحه بمقدار ما يَخْلُص من بأسه، ولا تُلْحِقُه هذه الحالة بزمرة المداهنين.

و_ من المداهنة أن يجعل المداهنُ لسانه طوعَ

بغيةِ الوجيه، فتراه يسبق هوى الوجيه، ويعْجَل إلى قولٍ ما يشتهيه الوجيه، فيمدح ما يراه الوجيه حسناً، ويذم ما يراه الوجيه سيئاً؛ بغضِّ النظر عن قناعة هذا المداهن من عدمها.

ز_ من المداهنة أن يجعل الإنسان لسانه طوع رغبة طائفته وأتباعه دونما نظر في رضا الخالق _جل وعلا_.

هذه هي المداهنة، وتلك أحوال أهلها يراوغون، ويخاتلون، ويخادعون، ويكذبون، ويسترون وجه الحقيقة الأبلج، ولايبالون بما يترتب على ذلك من عواقب.

أما الذين يعرفون ما في المداهنة من شر، ويحزنهم أن يظهر الشر على من في استطاعته الخير _ فيربأون بألسنتهم أن تساير في غير حق، ويؤثرون نصح الأمة بكافة طبقاتها بأبلغ أسلوب على أن يُزَيِّنوا للناس ما ليس بزين؛ بعلمهم بأن المداهنة خيانة، وتفريط في أداء الأمانة، وأنها ضررٌ محضٍ على أصحابها وعلى من يسايرونه.

ثم إن الناسَ كبيرَهم وصغيرَهم يكرهون المداهنة، ويملأون أعينهم باحترام من يوقظهم لوجه الخير إذا كانوا في غفلة، ولوجه الشر إذا اشتبه عليهم.

ولقد كان العلماء الأجلاء، والدعاة الصادقون يأخذون بسنة المداراة، ولم يكونوا يتلطخون برجس المداهنة.

ولقد تظاهرت نصوص الشرع، وتظافرت أقوال

العلماء والحكماء في الحث على المداراة، وذم المداهنة، وقد مضى شيء من ذلك.

ومن ذلك ما أورده البخاري في صحيحه، حيث أورد باباً في كتاب الأدب قال فيه: =باب المداراة مع الناس+.

وساق فيه أثر أبي الدرداء الماضي وحديثين.

قال الحسن ×: =حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة+.[1]

وقال العتَّابي: =المداراة سياسة لطيفة، لا يستغني عنها ملِكٌ ولا سُوقةٌ، يجتلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فمن كثرت مداراته فهو في ذمة الحمد والسلامة+.[2]

وقال بعضهم: =ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح في الماء الجاري+.[3]

وقال ابن حبان ×: =من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يدرك، ولكن يَقْصِدُ العاقل رضا من لا يجد عن معاشرته بدَّاً، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها، أو استقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثماً؛ فإن ذلك من المداراة، وما أكثر مَنْ دارى فلم يَسْلَم؛ فكيف توجد السلامة لمن لم يدارِ؟!+.[4]

---

[1] _ عيون الأخبار لابن قتيبة 3/22.

[2] _ 3_ عين الأدب والسياسة، وزين الحسب والرياسة لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل ص154.

[4] _ روضة العقلاء لابن حبان 71_72.

وإذا كان الأمر كذلك فإن على دعـاة الإصـلاح أن يراعوا هذا الجانب، وأن يحرصوا على تربية النــاس علـى خلـق المـداراة؛ حـتى تكـون بلاد المسـلمين منـابت نشـىءٍ يميـزون المداهنــة مــن المــداراة؛ فيخــاطبون النــاس فــي رقــة وأدب، وشــجاعة، ويحترمون من لايلُّوث أسماعَهم بالملق، ولا يكتمهم الحقائق متى اتسع المقام؛ لأن يحدثهم بصراحة. [1]

هذا وسيأتي مزيد بيان وأمثلة لهذه المسألة فــي فقرات آتية.

7_ أخــذ الأُهْبــة والاســتعداد خصوصــاً إذا كــان الواعظ في بداياته: فعليه أن يُعِدَّ للكلمة جيـداً، وأن يتدرب على إلقائها، ويحسن به أن يلقيها في أماكنَ بعيدةٍ عن حواضر العلـم، أو فـي المسـاجد الـتي لا يوجد فيها أهل العلم والفضل؛ حتى لا يُرْتَجَ عليه، أو تُقَيِّدَهُ حبسة.

فإذا ألقى موعظته في هجرة، أو باديـة، أو قريـة يغلــب علــى أهلهــا الجهــل _ كــان ذلــك أدعــى لاسترساله في موعظته، وتدربه على الانطلاق.

ويحسـن بـالمربين أن يـدربوا مـن تحـت أيـديهم علــى هــذه الخصــلة الشــريفة، وأن يتعاهــدوهم بالنصح، والتهذيب، والتوجيه؛ حـتى يكونـوا مشـاعل هدى، ومصابيح دجى.

8 _ رباطــة الجــأش: وهــذه الخصــلة تولــد مــع

---

[1] _ انظر تفاصيل الحديث عن المداراة والمداهنة في روضة العقلاء ص 70_71، وفتح الباري لابن حجر 10 / 544_545، وعين الأدب والسياسة ص125_157، والدعوة إلـى الإصـلاح ص50_52 و 74 ورسائل الإصلاح 1/ 31_138 ة 2 / 100، وسوء الخلق مظاهره _أسبابه_ علاجه للكاتب ص 152_166.

الإنسـان، ويكتسـبها_أيضـاً_بالممارسـة، والمـران، والدَّرَبة، كما أنها تتقوى بموجبات الإيمان.

فيجمل بالواعظ أن يتصف بهذه الخصلة الحميـدة؛ حتى يعتـاد لقـاء الجمهـور، والحـديث إليهـم بطلاقـة ويسر.

ولا يجمل بالإنسان أن يسترسل مع ضعف قلبــه، وقلة صبره، وخوفه مـن تهكـم النـاس؛ فليـس مـن شرط الشجاعة ألا يجد الإنسان في نفسـه الخـوف من الكلام أو الإقدام؛ فذاك شعور يجده كـل أحـد إذا هو همَّ بعمل جديد، أو كبير.

بل يكفي في شـجاعة الرجـل ألا يَعْظُـمَ الخـوفُ في نفسه، حتى يمنعه من الإقدام، أو يرجع به إلـى الانهزام.

ثم عليه بعد ذلك أن يـوطن نفسـه علـى الصـبر، وأن يحذر مـن تضـخيم النتائـج؛ فهـب أنـك تكلمـتَ مرةً، فأخطأتَ، أو لم تُجِدْ؛ ماذا في الأمر؟

لاشيء؛ فكل أحد عرضة للخطأ بل إن الخطأ هو طريق الصواب؛ فلا تعظِّم شأن الخطـأ فـي قلبـك، ولا تبال بلمز الناس وعيبهم؛ فالسلامة منهم عزيزة المنال.

ثم إن الإخفاق ليس عاراً إذا بذل الإنسان جهده، ولا يعد المـرء مُخفقـاً إلا إذا تخلـى عـن المحاولـة، وتقبَّل الهزيمة كأنها دائمة.

وبالجملـة فـإن الخطابـة، ومقابلـة الجمهـور فـي الــوعظ ضــرب مِــن ضــروب الشــجاعةِ الأدبيــةِ، والشجاعةُ _عموماً_ هي مواجهة الأمر عنـد الحاجـة في ثبات، وليست مرادفةً لعـدم الخـوف _كمـا قـد يُظَن_.

فهذا عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي _وحسبك بــه

شجاعةً وإقداماً_ يصف نفسه، ويصور حاله في ساحات الوغى، ويبين أن الخوف يداخله، ولكنه لا يحمله على الفرار، والإحجام؛ فلا ينقص ذلك من قدره؛ حيث يقول:

ولقد أجمع رجليَّ بها ... حذرَ الموت وإني
ولقد أعطِفها كارهةً ... لفروْ
كلُّ ما ذلك مني خُلُقٌ ... حين للنفس من
الموت هريرْ
وبكلٍّ أنا بالروع جدير [1]

9_ قوة الملاحظة: لأجل أن يدرك الواعظ أحوال المخاطبين حال إلقاء موعظته أهُم مقبلون عليه فيسترسل في قوله، ويستمر في نهجه؟ أم هم معرضون عنه، فيتجه إلى ناحية أخرى يراها أقرب إلى قلوبهم وأدنى إلى مواطن التأثير فيهم، فيَحْسن بالواعظ أن يكون ذا نظرات فاحصة كاشفة؛ بحيث يقرأ من الوجوه خطرات القلوب، ومن اللمحات ما تكنه النفوس نحو قوله؛ ليجدد بذلك نشاطهم، ويذهب بفتورهم، ولتتصل روحه بأرواحهم. [2]

10_ حضور البديهة: لأن الواعظ قد تمر به أحوالٌ تُجْبره على العدول عن كلمة إلى أخرى؛ فقد يُعِدُّ كلمةً، ويظن أنها تناسب هؤلاء القوم؛ فإذا رآهم، أو رأى بعضهم أدرك أنها لا تناسبهم.

وقد يقول كلاماً فيخشى أن يفهم على غير ما أراد وهكذا...

فإذا كان حاضر البديهة أمكنه تداركُ الخطأ، أو تغييرُ الموضوع، أو تلافي الإحراج.

وهذه الخصلة تكتسب بالتجارب، والنظر،

---

[1] _ الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 82.
[2] _ انظر الخطابة ص 44.

والمراس.
11ـ مراعاة المدة الزمنية للموعظة: فمراعاة هذا الأدب من الأهمية بمكان؛ إذ هو مما يعين على الانتفاع بالموعظة، والإصغاء إليها بإقبال ونشاط.
ولا ريب أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص؛ فيختلف باعتبار حال الموعظة، ويختلف باعتبار حال الواعظ، ويختلف باعتبار حال المخاطبين؛ فالموعظة المفاجئة لها حال، والموعظة المحددة بزمان ومكان محددين لها حال، والموعظة المحددة بعنوان لها حال.
ثم إن الموعظة التي يلقيها فلان من الناس تختلف عن الموعظة التي يلقيها غيره؛ فالعالم وذو المكان له حال، ومن دونه في الرتبة له حال.
وكذلك السامعون؛ فالمقبلون على الموعظة لهم حال، ومن كان إقبالهم أقل فلهم حال أخرى وهكذا...
فمراعاة هذه الأحوال وأمثالها يعين الواعظ على التأثير في الناس، وإساغتهم للموعظة.
وبناءًا على ذلك فإنه قد لا يتسنى تحديد وقت ملائم للموعظة لا تزيد عنه أو تتعداه؛ فقد تقتضي الحكمة أن يطنب الواعظ، وقد تقتضي أن يوجز، وقد تقتضي أن يتوسط.
وإذا روعي هذا الجانب، ووضع في موضعه عم نفعه، وعظم وقعه، والعكس.
قال أبو هلال العسكري ×: =والقول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته،

واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ+. [1]

ومهما يك من شيء فإن التوسط والإيجاز هما أقرب الأساليب لإساغة الموعظة إلا إذا اقتضى المقام غير ذلك.

وهكذا كانت خطب النبي " فما كان يطيل؛ لأنه يخشى على الناس الملل.

وكانت خطبه مع قصرها مليئة بالحكمة، والموعظة الحسنة؛ إذ تجيء حافلة بجوامع الكلم، والجملِ التي تجري على الألسنة مجرى الأمثال. [2]

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ÷ قال: =كنت أصلى مع رسول الله " فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً+. [3]

ومعنى =قصداً+: أي متوسط بين الإفراط والتفريط وبين التقصير والتطويل. [4]

وفي صحيح مسلم عن أبي وائل قال: =خطبنا عمارٌ فأوجز، وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان! لقد أبلغتَ، وأوجزتَ، فلو كنتَ تَنَفَّسْتَ!.

فقال: =إني سمعت رسول الله " يقول: =إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنةٌ من فقهه؛ فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً+. [5]

ومعنى قوله: =لو كنت تنفست+: أي أطلت قليلاً.

---

[1] _ كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص 239_ 259.
[2] _ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص185.
[3] _ مسلم (866).
[4] _ انظر مرقاة المفاتيح لملا علي قاري 3 / 498.
[5] _ مسلم (869).

ومعنى: =مئنة من فقه+: أي علامة. [1]

ومع أن هذا هو دأب رسول الله " في خطبه ومواعظه _فهو يطيل في بعض الأحيان متى اقتضى الحال الإطالة.

جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن أخطب ÷ قال: =صلى بنا رسول الله " الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فَأَعْلَمُنا أَحْفَظُنا+. [2]

ومن خلال ما مضى يتبين لنا أن مدة إلقاء الموعظة أمرٌ نسبي يُرجع فيه إلى اجتهاد الواعظ، وحكمته، ويرجع فيه إلى اختلاف الأحوال والأشخاص.

كما تبين لنا أن الإيجاز هو القريب المحبب إلى النفوس.

ومما يمكن التفصيل فيه في هذا الشأن _أيضاً_ أن يقال: إذا كانت الموعظة محددة ومعلنة فلا بأس في إطالتها إذا كان الوقت المحدد يسمح بهذا.

وذلك كما لوكان موعدها يستغرق ما بين المغرب والعشاء، أو كان وقتها محدداً بساعة أو أكثر.

وكذلك تسوغ الإطالة إذا كان الواعظ معروفاً عند الناس وهم يرغبون في إطالته كالعالم الذي له منزلته أو نحو ذلك.

وكذلك تسوغ الإطالة إذا طلب المخاطبون من الواعظ أن يطيل فيهم.

أما إذا كانت الموعظة مفاجئة، أو كان الواعظ لا

---

[1] _ شرح النووي على صحيح مسلم ص 568.

[2] _ مسلم (2892).

يعرفه المخاطبون، أو كانوا في مكان أو وقت ضيق فلا تسوغ الإطالة.

وذلك مثل الموعظة التي تكون دبر الصلوات المكتوبة؛ فالإطالة فيها تفضي إلى الإملال، واستثقال الحديث؛ فاللائق أن تصاغ بصورة موجزة جداً، فلا يحسن بالواعظ أن يُحرج الناس، ويضجرهم، ويثقل عليهم بطول حديثه.

بل يحسن به أن يحدد زمناً قصيراً حتى يحفز المخاطبين إلى البقاء لسماع الموعظة، وذلك كأن يقول: لن أزيد في كلمتي هذه على خمس دقائق أو أربع أو نحوها، وأن يفي بما يقول.

ولأن يقال: ليته واصل خير من أن يقال: ليته سكت.

ويجمل بالواعظ أن يقتصر في موعظته على الكلمات الجامعات للمعاني الكثيرة، وأن يتجنب التفصيلات التي لاداعي لها.

كما يحسن به ألا يتشعب في الموعظة، بل يحسن أن يكون الموضوع واحداً؛ حتى تحصل الفائدةُ المرجوَّةُ منه.

فلو انطلق في موعظته من آية، أو حديث، أو أثر، ثم بيَّن المقصود من ذلك بأوجز عبارة لكان حسناً.

مثال ذلك أن يأخذ قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ **الذاريات:56**

ويتحدث من خلال هذه الآية عن الحكمة من خلق الجن والإنس، وعن فضل عبادة الله، وأثرها في سعادة الإنسان في دنياه وأخراه، وعن عاقبة الإعراض عن عبادة الله، وأثره في الشقاوة دنيا وأخرى وهكذا...

أو أن يأخذ قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ

الأعراف:199 ثم يبين كيف جمعت هذه الآيةُ مكارمَ الأخلاق وهكذا...

أو أن يأخذ سورة العصر، ويبين من خلالها أصول السعادة، وأنها تَكْمُن في العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

أو أن يأتي بالحديث الذي رواه معاذ وأبو ذر _رضي الله عنهما_ عن النبي "أنه قال: =اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن+.[1]

ثم يبين كيف جمع هذا الحديث بين حقين عظيمين من أتى بهما أفلح وسعد، والعكس.

وهذان الحقان هما حق الله، وحق الناس؛ فحق الله في الجملتين الأوليين، وحق الناس في الجملة الأخيرة، وهكذا...

وكذلك الحال بالنسبة للموعظة بعد صلاة الجمعة؛ فالذي ينبغي ألا تكون إلا إذا رأى الواعظ أن الحاجة ماسة لذلك؛ فينبه إلى ما يريد التنبيه عليه، ويبين ما يريد بيانه من الأمور التي لابد أن يفقهها الناس في ذلك الوقت، وأن يكون ذلك في وقت وجيز جداً؛ لأن الناس قد استمعوا لخطبة الجمعة، وربما تكون الخطبة طويلةً، كما أن بعضهم قد يكون أتى إلى المسجد مبكراً، فيثقل عليه سماع الموعظة، ويستحيي من الخروج، فيقع في حرج.

ثم إن الناس يرغبون في الانتشار بعد الصلاة،وابتغاء ما عند الله_عز وجل_.

قال الإمام أحمد ×: =إذا كانوا يقرأون الكتاب

---

[1] _ رواه أحمد 5/135، والترمذي (1987) وحسنه، والحاكم 1/54، وقال:=صحيح على شرط الشيخين+.

يوم الجمعة على الناس بعد الصلاة أعجب إليَّ أن يسْمَعَ إذا كان فتحاً من فتوح المسلمين، أو كان فيه شيء من أمور المسلمين فليستمع، وإن كان شيئاً إنما فيه ذِكرُهم فلا يستمع+.[1]

12_ التخول بالموعظة: فذلك أدعى للاشتياق، وأحرى لقبول الموعظة والانتفاع بها؛ فجدير بالواعظ ألا يكثر من وعظ أناس بأعيانهم، أو يتابع عليهم الوعظ مراراً قريباً بعضها من بعض؛فإن النفس شرود،وإن كثرة الوعظ تفقده أثره.

ولقد كان من حكمةٍ نبينا محمد " في الدعوة أنه لا يجعل الوعظ ركاماً، بل كان يتحرى بالموعظة وقت حاجة الناس إليها، أو وقت نشاطهم لسماعها.

أورد البخاري × في كتاب العلم من صحيحه بابين في هذ الشأن.

أحدهما: =باب ما كان النبي " يتخولهم بالموعظة والعلم؛ كي لا ينفروا+.

وتحت هذا الباب ساق بسنده حديثين، أحدهما عن ابن مسعود ÷ قال: =كان النبي " يتخولنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السآمة علينا+. [2]

والثاني عن أنس ÷ عن النبي " قال: =يسروا ،ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا+.[3]

والباب الثاني: =باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة+.

ثم قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل قال: كان عبدالله _يعني ابن مسعود_ يذكر الناس في كل خميس،

---

[1] _ المغني لابن قدامة 3 / 251.

[2] _ البخاري (68)، وأخرجه مسلم (2821).

[3] _ البخاري (69)، وأخرجه مسلم (1734).

فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن! لـودِدْتُ لـو ذكرتنـا كل يوم.

قال: أمَا إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي " يتخولنا بها؛ مخافة السآمة علينا+.[1]

قال ابن حجر ×: في شرح الحديث الأول: =في قوله =كان يتخولنا+: =والمعنى كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم؛ لئلا نمل+.[2]

وقال: =وقوله: =علينا+: أي السآمة الطارئة، أو ضمَّن معنى المشقة، فعداها بعلى، والصلة محذوفة، والتقدير في الموعظة+. [3]

وقال ابن حجر مبيناً الضوابط في ذلك:=ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط: الحاجة مع مراعاة وجود النشاط+. [4]

وجاء في صحيح البخاري عن عكرمة عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: =حدِّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآن+ الحديث. [5]

والعرب تقول في أمثالها: =زِرْ غِبَّاً تزدَدْ حباً+. [6]

وقال بعضهم:

إذا شئت أن تُقْلى فَزِرْ متتابعاً ... وإن شئت أن تزداد حُبَّاً فزر غِبا [1]

---

[1] _ البخاري (70)، وأخرجه مسلم (2821).
[2] _ فتح الباري 1 / 196.
[3] _ 2_ فتح الباري 1/196.
[5] _ البخاري (6337).
[6] _ مجمع الأمثال للميداني 1/323، وفرائد الخرائد في الأمثال لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويي ص 262.

وسيأتي مزيد بيان لهذه الفقرة في الفقرة التالية.

13_ ترك الوعظ عند من لا يرغب:فمما يحسن بالواعظ أن يحفظ على نفسه كرامتها، وألا يبذل علمه، وينشره عند من لا يقدره، أو لا يرغب فيه.

ومن الحكمة في ذلك ألا يلقي إلا في مكان مناسب، وفي وقت يحسن الإلقاء فيه.

أما إذا كان المكان والزمان غير مناسبين، أو كان الناس عنه منصرفين، ولحديثه غير راغبين _فلا يحسن به أن يلقي.

مثال ذلك أن يكون الناس في وليمة زواج، وهم يتحدثون، ويسلم بعضهم على بعض.

أما إذا كان المكان مهيأ والناس مستعدين لسماع الموعظة فلا بأس بإلقائها وإن كان بعضهم مشتغلاً عنه.

جاء في صحيح البخاري عن عكرمة عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: =ولا ألفينك تأتي القوم، وهم في حديث من حديثهم ، فتقصَّ عليهم، فتقطعُ عليهم حديثهم، فتملّهم، ولكن أنصت فإن أمروك فحدثهم وهم يشتهونه+.[1]

قال ابن حجر × في شرح كلام ابن عباس _رضي الله عنهما_: =وفيه كراهة التحديث عند من لا يُقبل عليه، والنهي عن قطع حديث غيره، وأنه لا ينبغي نشر العلم عند من لا يحرص عليه، ويحدث من يشتهي بسماعه؛ لأنه أجدر أن ينتفع به+.[2]

وعقد الخطيب البغدادي × في كتابه الجامع باباً عنوانه: =باب كراهة التحديث لمن لا يبتغيه وأنَّ من

[1] _ فرائد الخرائد ص 262.
[1] _ البخاري (6337).
[2] _ فتح الباري 11 / 143.

ضَيَاعه بذلَه لغير أهله+.

ثم ساق جملة من الآثار في هذا.

ومن ذلك ما رواه بسنده عن مسروق × قال: =لا تنشر بزَّك إلا عند من يبتغيه+.

قال الإمام أحمد ×: =يعني الحديث+.[1]

وساق بسنده عن مطرف × أنه قال: =لا تطعم طعامك من لا يشتهيه+.

أي لا تحدث بالحديث من لا يريده.[2]

وروي عن مغيرة × قال: =إني لأحتسب في منعي الحديث كما تحتسبون في بذله+.[3]

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الآثار أنَّ الداعي لابد له من أذانٍ مُصْغيةٍ تعي ما يقول، وإلا كان كلامه هباءاً منثوراً.

ثم إن قَدْر العلم والموعظة قد يخف عند الناس إذا رأوا صاحبه في موقف لا يحسد عليه، من إعراض الناس عنه، أو وقيعتهم فيه.

بل لقد بالغ بعضهم فقال:

يستوجب الصفع في الدنيا ثمانية ... لا لوم في واحد منهم إذا صُفِعا

ثم ذكر منهم:

ومُتْحِفٌ بحديثٍ غيرَ سامِعِهِ ... وداخلٌ في حديث اثنين مندفعا [4]

ولا يدخل في ذلك من رأى أناساً على منكر ثمَّ أراد الإنكار عليهم بموعظة يقولها لهم؛ فلا حرج على هذا إذا أراد تغيير المنكر خصوصاً إذا كان في حدود

---

[1] _ الجامع (727).
[2] _ الجامع (731).
[3] _ الجامع (736).
[4] _ إصلاح المجتمع للبيحاني ص 360.

الحكمة، ولا لوم عليه إذا كرهوا موعظته وإنكاره.
فهـذا المقـام خلاف المقـام السـابق؛ إذ هـو مقـام إنكار، وذاك مقام موعظة عامة.
14_ التجـوُّز فـي الموعظـة عنـد ملاحظـة الملـل والفتـور: فمـن الأدب فـي الموعظـة، ومما يليـق بالواعظ أن يتجوَّز فـي مـوعظته، أو أن يقطـع حـديثه إذا لاحظ أن الملل والفتور قد دَبَّا إلى السامعين.
وعلامة ذلك أن يرى منهم أو من بعضهم تحفُّـزاً، أو تمطِّياً، أو تثاؤباً، أو التفاتاً، أو نحـو ذلـك ممـا لا يخفـى على الواعظ الألمعي.
أورد الخطيب فـي كتـابه الجـامع مسـألة عنوانهـا =كراهة التحديث لمن عارضه الكسل والفتور+.
ثم قال ×: =حق الفائدة أن تساق إلـى مبتغيهـا، ولا تعرض إلا على الراغب فيهـا؛ فـإذا رأى المحـدِّثُ بعـض الفتـور مـن المسـتمع فليسـكت؛ فـإن بعـض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهـم السـامع+.[1]

وذكر البغوي × عن ابن مسعود ÷ أنه قال:=حدث القوم ما حدَّجوك[2] بأبصارهم، وأقبلت عليك قلوبهم؛ فإذا انصرفت عنك قلوبهم، فلا تحدثهم+.
قيل وما علامة ذلك؟
قـال: =إذا التفـت بعضـهم إلـى بعـض، ورأيتهـم يتثاءبون فلا تحدثهم+.[3]
وذكره الخطيب عـن ابـن مسـعود بلفـظ: =حـدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم؛ فإذا انصرفت قلـوبهم؛ فلا تحدثهم+.

---

[1] _ الجامع ص 330.
[2] _ حدجوك: أي وجهوها نحوك.
[3] _ شرح السنة للبغوي 1 / 314.

قيل له: وما علامة ذلك؟

قال: =إذا حدَّقوك بأبصارهم؛ فإذا تثاءبوا، واتَّكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم+.[1]

وأخرج الدارمي في سننه عن ابن مسعود ÷ قوله: =إن للقلوب لنشاطاً وإقبالاً، وإن لها لتولةً وإدباراً؛ فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم+.[2]

وأخرج الخطيب عن أبي خلدة قال: سمعت أبا العالية × يقول: =حدِّث الناس ما حملوا.

قال: قلت ما حملوا؟ قال: =ما نشطوا+.[3]

15_ مراعاة حال الجو: فقد يكون شديد الحرارة، أو شديد البرودة.

فإذا اجتمع هذا إلى ثقل الموعظة وطولها قل الانتفاع.

فهذا يحمل الواعظ على أن يقتصد في كلامه خصوصاً إذا كان الناس على غير موعدٍ معه، أو كانوا قد أدوا الصلاة، ويرغبون في الخروج من المسجد.

16_معرفة النفوس، ومراعاة العقول:فذلك دليل على حسن التصرف، وسبب في القوة والتأثير؛ فالخبرة بما للطوائف والبيئات من أحوال نفسية، وإلقاء الدعوة بالثوب الملائم لهذه الأحوال موكولٌ إلى ذكاء الواعظ.

والواعظ الحكيم يُحْكِمُ هذا الأمر، وينتفع به عند لقائه بالطبقات المختلفة؛ فتراه يزن عقول مَنْ يلاقونه، ويُحِسُّ بما تُكِنُّ صدورهم، وتنزع إليه

---

[1] _ الجامع (740).

[2] _ سنن الدارمي (454)، وأخرجه الخطيب في الجامع (742).

[3] _ الجامع (743).

نفوسهم، فيشهد مجالسهم، وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقول وسرائر، وعواطف، فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد، ويتحامى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق.

ولاريب أن مراعاة عقول الناس وطباعهم ونزعاتهم فيما لايقعد حقاً أو يقيم باطلاً _ مظهر من مظاهر الإنسانية المهذبة، وخلق من الأخلاق التي تمم الإسلام صالحها، ومكارمها.

وهذا الأمر _ وإن كان عائداً إلى الموهبة _ فهو كذلك يقوى وينمو على قدر ما يتقلب فيه الفكر من مشاهدات، وتجارب، ومطالعات تاريخية.

وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى.

17_ تحسس الأدواء، والبداءة بالأهم فالمهم:فالواعظ الحكيم يتحسس أدواء الناس، وينظر أحوالهم، ثم ينزل موعظته على ما يلائم تلك الأحوال من مراعاة الأهم فالمهم.

وهكذا كانت سيرة الأنبياء مع أقوامهم؛ فهم _عليهم السلام_ ينظرون في أحوال أقوامهم، فيأمرونهم بالمعروف الذي أَخَلُّوا به،أو يحذرونهم من المنكر الذي وقعوا فيه.

فذلك من حكمة الدعوة، ومما يحسن بالواعظ ألا يُغْفِله؛ إذ لا يليق به أن يحدِّث الناس إلا بما يحتاجون إليه، كما لا يحسن به أن يحدثهم عن أمرٍ وهُمْ محتاجون إلى غيره أشد من حاجتهم إليه، وذلك كحال من يحدثهم عن أدب من الآداب، أو سنة من السنن وهم غارقون في الشرك إلى الأذقان.

فهؤلاء محتاجون إلى بيان التوحيد، وخطر الشرك أشد من حاجتهم إلى غيره، وهكذا...

ولا يعني ذلك ألا يتكلم إلا بالتوحيد وفصوله وأبوابه، أو عن الشرك، ووسائله وذرائعه ونحو ذلك.

وإنما المقصود بيان الأهم فالمهم وذلك يختلف من مكان إلى مكان، ومن أناس إلى أناس.

ولهذا كان جميع الأنبياء _عليهم السلام_ يقولون لأقوامهم: ﴿ ﴾ **الأعراف:59.**

كما قال الله _عز وجل_: ﴿ ﴾ **النحل:36.**

ومع ذلك لم يغفلوا ما وقعت به تلك الأمم من المخالفات الأخرى؛ فهذا لوط _عليه السلام_ يقول لقومه: ﴿ ﴾ **الأعراف:80.**

وهذا شعيب _عليه السلام_ يقول لقومه: ﴿ ﴾ **الأعراف:85.**

وهكذا كانت سيرة نبينا محمد _عليه الصلاة والسلام_ حيث كان يراعي أحوال الناس، وينزل مواعظه على أحوالهم، كما كان يقدم الأهم فالمهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ولعل من أجلاها، وأوضحها ما جاء في حديث ابن عباس _رضي الله عنهما_ أن رسول الله "لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: =إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية إلى أن يوحدوا الله؛ فإن هم أطاعوك لذلك

فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم؛ فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب+. [1]

ومن المراعاة لهذا الأدب أن تُلاحظَ المناسباتُ والأوقاتُ التي يناسب فيها الحديث عن أمر من الأمور؛ كالحديث عن رمضان في أيامه، وكالحديث عن الحج في وقته، وهكذا؛ لأن النفوس تنسى إذا طال عليها الأمد؛ فإذا ذكرت تذكرت.

18_ الرفق في القول، واجتناب الكلمة الجافية: فإن الخطاب اللَّين قد يتألَّف النفوسَ الناشزةَ، ويدنيها من الرشد، ويرغبها في الإصغاء للحجة أو الموعظة.

قال _تعالى_ في خطاب هارون وموسى _عليهما السلام_: [illegible] **طه.**

ولقَّن موسى _ عليه السلام _ من القول اللين أحسنَ ما يخاطب به جبار يقول لقومه: أنا ربكم الأعلى، فقال_تعالى_: [illegible] **النازعات.**

قال ابن القيم × :=وتأمل امتثال موسى لما أُمِر به كيف قال لفرعون: [illegible] **النازعات.**

فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا

[1] _ رواه البخاري (1458 و 496 و 7331)، ومسلم (19).

مَخْرجَ الأمـر، وقـال: ﴿ ﴾ ولم يقل:=إلى أن أزكيك+.

فنسب الفعل إليه هـو، وذكـر لفـظ الـتزكّي دون غيره؛ لما فيه من البركة، والخير، والنماء.

ثـم قـال:﴿ ﴾ أكـون كالدليل بين يديك الذي يسير أمامك.

وقال: ﴿ ﴾استدعاءً لإيمانه بربه الذي خلقه، ورزقه، ورباه بنعمه صغيراً وكبيراً+.[1]

ولهذا فإن الموعظة التي تُلقى فـي أدب، وسـعة صدر، تسيغها القلوب، وتهش لهـا النفـوس، وترتـاح لها الأسماع.

ولقد امتن ربنا _جل وعلا_ على نبينا محمد " بأن جبله على الرفق ومحبة الرفق، وأن جنبـه الغلظـة، والفظاظة، فقال _عز وجل_: ﴿ ﴾ **آل عمران:159.**

ولقد كانت سيرته _عليه الصلاة والسلام_ حافلـةً بهذا الخلق الكريم الذي مَـنْ مَلَكَـه بسـط سـلطانه على القلوب.

وكمـا كـان _عليـه الصـلاة والسـلام_ متمثلاً هـذا الخلق فقد كان يأمر به ويبين فضله.

قال " =إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطـي علـى غيره+. [2]

وقـال _عليـه الصـلاة والسـلام_: =إن الرفـق لا يكـون فـي شـيء إلا زانـه، ولا ينـزع مـن شـيء إلا

---

[1] _ بدائع الفوائد لابن القيم 3/132_ 133.

[2] _ رواه مسلم (2593).

شانه+. [1]

ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: =يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا+. [2]

قال الإمام أحمد ×: =يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب؛ فيكون يريد ينتصر لنفسه+. [3]

ولقد أحسن من قال:

لوسار ألفُ مَدَجَّجٍ في حاجة ... لم يَقْضِها إلا الذي يترفق [4]

وكان يقال: =من لانت كلمته وجبت محبته+. [5]

فالرفق ولين الخطاب هو المتعين حالَ الموعظة، وهو الأليق بحال الواعظ؛ لأن حالَ الموعظةِ غيرُ حالِ الرد، والمناظرة، والمجادلة.

ومع ذلك قد يحتاج إلى الشدة وذلك في حالات خاصة، ومن أناس مخصوصين، وفي حق من يستحق ذلك؛ فإذا كان الواعظ ذا مكانة، وكان المقام يقتضي الشدة، ولم يترتب على ذلك مفسدة _أخذ بهذا الأسلوب.

ولهذا كان موسى _عليه السلام_ متلطفاً مع فرعون غاية التلطف في بداية الأمر _كما مر قريباً_ وعندما رأى من فرعون العناد والاستكبار ومحاولة الصد عن الهدى من بعد ما تبين له _أغلظ له في الخطاب كما في قوله _تعالى_:

---

[1] _ رواه مسلم (2594).
[2] _ رواه البخاري (6124)، ومسلم (1733).
[3] _ جامع العلوم والحكم 2 / 456.
[4] _ روضة العقلاء ص 216.
[5] _ البيان والتبيين للجاحظ 2 / 174.

ر
وأسرا
ر

﴿ ﴾ **الإسراء:102.**

فأين هذا الخطاب من الخطاب الأول؟.

وكما في قوله _تعالى_: ﴿ ﴾ **العنكبوت:46.**

وكما قال إبراهيم _عليه السلام_ لقومه: ﴿ ﴾ **الأنبياء:67.**

وكان النبي " يأخذ بهذا الأسلوب عند الحاجة إليه.

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين في قصة المرأة المخزومية التي سرقت، فعن عائشة_رضي الله عنها_ أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقالوا: ومن يكلم رسول الله "، ومن يتجرأ عليه إلا أسامة حب رسول الله ".

فكلم رسول الله " فقال: =أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟+.

ثم قام فخطب، قال: =ياأيها الناس! إنما أضل من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها+. [1]

وفي الصحيحين _أيضاً_ عن أبي هريرة ÷ قال: =ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد+. [2]

ولقد بوب البخاري في كتاب الأدب من صحيحه

---

[1] _ البخاري (6788)، ومسلم (2648).

[2] _ البخاري (657)، ومسلم (651).

باباً سماه: =باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله+.

ثم ساق تحته خمسة_أحاديث. [1]

وخلاصة القول أنَّ الرفق هو الأصل، وهو الأليق بحال الواعظ ما لم تدع الحاجة إلى الشدة، وأنَّ الشدَّة قد لا تلائم كل أحد، خصوصاً ممن ليس له قَدْرُ سنٍّ، أو علم، أو منزلة، أو قبول عند الناس.

19_ نزاهة اللسان: ومما يدخل في ذلك تجنب الفحش، والبذاءة.

عن ابن مسعود ÷ قال قال رسول الله " =ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش البذيء+. [2]

قال النووي ×:=ومما ينهى عنه الفحش، وبذاءةُ اللسان، والأحاديث الصحيحة فيه كثيرة ومعروفة.

ومعناه: التعبير عن الأمور المستقبحة بعبارة صريحة، وإن كانت صحيحة، والمتكلم بها صادقاً.

وينبغي أن يُستعمل في ذلك الكناياتُ، ويعبرَ عنها بعبارة جميلة يفهم بها الغرض.

وبهذا جاء القرآن العزيز، والسنن الصحيحة المكرمة.

قال _تعالى_: [illegible] **البقرة:187**.

وقال _تعالى_: [illegible] **النساء:21**.

وقال _تعالى_: [illegible] **البقرة:237**.

---

1 _ من (6109) إلى (6113).

2 _ أخرجه أحمد 404، والبخاري في الأدب المفرد (232)، والترمذي (1977) وقال: =حسن غريب+ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (237).

والآيات ، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.

قال العلماء: فينبغي أن يُستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يُستحيا من ذكرها بصريح _اسمها_ الكناياتُ المُفْهِمةُ؛ فيكنِّيَ عن جماع المرأة بالإفضاء، والدخول، والمعاشرة، والوقاع، ونحوها+.[1]

وقال النووي ×: =وكذلك يكنِّي عن البول والتغوط بقضاء الحاجة، والذهاب إلى الخلاء، ولا يصرح بالخراءة، والبول، ونحوهما.

وكذلك ذكر العيوب، كالبرص، والبَخَر، والصنان، وغيرها يُعبَّر عنها بعبارات جميلة يفهم منها الغرض.

ويلحق بما ذكر من الأمثلة سواه+.[2]

قال القاسمي ×:=إياك، وما يستقبح من الكلام؛ فإنه ينفِّر عنك الكرام، ويؤثِّب عليك اللئام+ ا_هـ.[3]

ومما يَدْخُل في ذلك ما كان مستنكر الظاهر، وإن كان معناه سليماً بعد تدقيق النظر فيه.

قال الماوردي ×: =وما يجري مجرى فحش القول، وهُجرْه، ولزوم تنكبِّه_ ما كان شنيع البديهةٍ، ومستنكر الظاهر، وإن كان عقبَ التأمل سليماً، وبعد الكشف، والرَّوية مستقيماً+.[4]

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا ينبغي التصريح بالعبارت المستكرهة صراحة مالم تدع الحاجة _كما مر_.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك فلا بأس به، بل هو المتعيِّن؛ فإن تحصيل الإفهام في هذا أولى من

---

[1] _ الأذكار للنووي ص334.
[2] _ الأذكار ص234.
[3] _ جوامع الآداب للقاسمي ص 6.
[4] _ أدب الدنيا والدين ص 284.

مراعاة الأدب.[1]

20_ صرف الإنكار على غير معين: فذلك مما يندرج في سلك أدب الموعظة، وهكذا كان النبي " حيث كان يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغي مأخذاً لطيفاً، حتى إنه لا يوجه الإنكار إلى الرجل الذي صدر منه الخطأ بعينه، ما وجد في الموعظة العامة كفايةً من باب قوله: =ما بال أقوام+.

جاء في الصحيحين عن عائشة _رضي الله عنها_ قالت: صنع النبي " شيئاً فرخَّص فيه، فتنزه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي " فخطب، فحمد الله ثم قال:=ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية+. [2]

وقد بوب البخاري × لهذا الحديث في =باب من لم يواجه الناس في العتاب+.

وشكى إليه رجلٌ رجلاً حين كان يطيل بهم صلاة الغداة، فاشتد غضبه " ولكنه احتفظ بعادته الجميلة؛ فلم يخاطب الذي كان يطيل على التعيين، بل عمم الموعظة وقال: =أيها الناس إن منكم منفِّرين؛ فمن صلى بالناس فليخفف؛ فإن فيهم المريض، وذا الحاجة+. [3]

هذا هو الأصل في تعميم الموعظة، وصرف الإنكار إلى غير معين.

أما إذا احتيج إلى أن يكون الإنكار على وجه التعيين فلا بأس في ذلك، وإن كان ذلك لا يسوغ من كل أحد، ولا في حق كل أحد؛ إذ لا يسوغ إلا إذا اقتضت الحكمة ذلك، ولا يسوغ إلا ممن له منزلة،

---

[1] _ انظر الأذكار ص334 _ 335.

[2] _ البخاري (6101)، ومسلم (2356).

[3] _ رواه البخاري (702) و(704) و(6110)، ومسلم (466).

ومكانة، وكلمة مطاعة.

ولهذا خاطب النبي " معاذاً ÷ على وجه التعيين.

جاء في الصحيحين عن جابر بن عبدالله ÷ قال: =كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي " ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي " العشاء، ثم أتى قومه فأمَّهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل، فسلَّم، ثم صلى وحده، وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا، والله لآتين رسول الله " فلأخبرنه، فأتى رسول الله " فقال: يارسول الله إنَّا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله " على معاذ فقال: =يامعاذ! أفتان أنت! اقرأ بكذا، واقرأ بكذا+.

وفي رواية: =يامعاذ! أفتان أنت _ثلاثاً_ اقرأ: =والشمس وضحاها+ و=سبح اسم ربك الأعلى، ونحوهما+.

وفي رواية: =فتان، فتان، فتان+ ثلاث مرار أو قال: =فاتناً، فاتناً، فاتناً+.[1]

21_ أن يوجه الواعظ الإنكار إلى نفسه تصريحاً، وهو يعني السامع تلميحاً: كأن يقول: مالنا لانتَّقي الله، ونمتثل أوامره، ونجتنب نواهيه، ونحو ذلك...

ويشير إلى هذا الأدب قوله _تعالى_ فيما يقصه عن رجل يدعو قومه إلى الإيمان بالله: [illegible]

[illegible] يس:22.

فإنه أراد تقريع المخاطبين؛ إذ أعرضوا عن عبادة خالقهم، وعكفوا على عبادة مالا يغني عنهم شيئاً، فأورد الكلام في صورة الإنكار على نفسه؛ تلطفاً في الخطاب، وإظهاراً للخلوص في النصيحة؛ حيث اختار لهم ما يختار لنفسه.

---

[1] _ البخاري (701 و 507 و710 و6106)، ومسلم (465).

22_ مراعاة المشاعر: وقد مضى شيء من ذلك،ومن المراعاة في هذا الشأن_أيضاً_ ألا يكثر الواعظُ من صيغة فعل الأمر كأن يكثر في كلامه من قول: افعلوا واتركوا، ونحو ذلك؛ لأن الأمر ثقيل على النفوس خصوصاً إذا كان الواعظ صغيراً، أو ليس معروفاً عند السامعين.

ومن المراعاة للمشاعر ألا يلفظ بالكلمات التي يمجُّها الذوق، وتتأذى منها الأسماع _كما مر_ وألا يواجه الناس بما يكرهون، وألا يكثر من لومهم، ونقدهم، وتقريعهم، وتحميلهم ما لا يطيقون.

ومن المراعاة للمشاعر أن يرفع الواعظ من قيمة السامعين، وأن يذكرهم بما عندهم من الخير؛ حتى تنشرح صدورهم لما يلقى عليهم.

ومن المراعاة للمشاعر أن يُمهل الواعظ من فاتتهم الصلاة حتى يفرغوا من صلاتهم؛ حتى يتمكنوا من سماع الموعظة، ولئلا تختلط عليهم الصلاة، وذلك إذا كانت الموعظة تلقى بعد الصلاة المكتوبة.

ومما يستحسن في هذا أن يستأذن الواعظ الإمام بأن يخبر المأمومين بأن موعظة ستلقى بعد قليل؛ حتى يمكث الذين أدوا الصلاة، ريثما ينتهي الذين يُلحقون.

وإذا رأى الواعظ أن يبدأ موعظته فليخفض صوته قدر المستطاع حتى لا يشوش على المصلين.

ومن مراعاة المشاعر تنزيل الناس منازلهم، فكل يعطى منزلته اللائقة به من الإجلال، والإكرام، والتوقير؛ فذلك أدعى لقبول الحق، والإذعان إليه.

أخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة

رر
وأسرا
ر

رضي الله عنها أنها قالت: =أمرنا رسـول اللـه " أن ننزل الناس منازلهم+. [1]

ولقد اعتنت كتب السنة بهذا المعنى، كما اعتنـت بذلك كتب أدب الطلب كثيراً.

ولو ألقى القـارئ نظـرة فـي بعضـها لـرأى ذلـك جلياً.

ومـن ذلـك علـى سـبيل المثـال: كتـاب الجـامع لأخلاق الراوي، وآداب السامع للخطيب البغدادي.

ومما عقده من أبواب فـي ذلـك الكتـاب _البـاب التاسع عشر، وعنوانه:

=باب: توقير المحـدث طلبـة العلـم، وأخـذه نفسـه بحسن الاحتمال لهم والحلم+.

وساق جملـة مـن الآثـار تحـت هـذا البـاب، ومـن العنوانات التي جاءت تحت هذا الباب ما يلي:

_=إكرامه المشايخ وأهل المعرفة+.

_=تعظيم المحدِّث الأشراف ذوي الأنساب+.

_=تعظيم من كان رأساً في طائفته وكبيراً عنـد أهل نِحْلته+.

_=إكرامه الغرباء من الطلبة وتقريبهم+.

_=أستقباله لهم بالترحيب+.

_=تواضعه لهم+.

_=تحسين خلقه معهم+.

_=الرفق بمن جفا طبعه منهم+

وتحت كل عنوان ساق × جملة من الآثار. [1]

ومن المراعاة للمشاعر أن لا يكثر من ذكر اسـم شخص ينفر منه السـامعون ولـو كـان كلامـه حقـاً، ويكفي في ذلك أن يُورَد كلامه دون ذكر لشخصه.

---

[1] _ مقدمة صحيح مسلم ص 20.

[1] _ انظر الجامع ص 343 _ 355.

وهذا ما يصنعه بعض العلماء كصنيع ابن أبي العز الحنفي × في كتابه (شرح العقيدة الطحاوية) حيث أورد كثيراً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم _رحمهما الله_ دون ذكر لإسميهما؛ لأن هدفه نشر الحق، ولو أنه ذكرهما بأعيانهما لربما حصل نفرة من كتابه خصوصاً في ذلك الوقت.

ومن المراعاة للمشاعر _أيضاً_ أن يورد الكلام بعزوه إلى قائله إذا كان ممن له قبول عند السامعين.

ومن ذلك ألا يذم شخصاً بعينه إذا كان في ذمه باسمه استثارة للسامعين _وإن كان ذلك المذموم يستحق الذم_ ويكفي في ذلك أن يبين الحق فيما يراد بيانه، ويبين الباطل في ذلك دون ذكر للأشخاص ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

23_ التثبت مما يقال، والنظر في جدوى نشره: فالواعظ اللبيب لا يتكلم في شيء إلا إذا تثبَّت من صحته؛ فإذا ثبت لديه ذلك نَظَرَ في جدوى نشره؛ فإن كان في نشره حفز للخير، واجتماعٌ عليه _نشره، وأظهره، وإن كان خلاف ذلك أعرض عنه، وطواه.

ولقد جاء النهي الصريح عن أن يحدث المرء بكل ما سمع.

قال ":=كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع+.[1]

ويتعين هذا الأدب في وقت الفتن والملمات، فيجب على الواعظ أن يتحرى هذا الأدب؛ حتى

---

[1] _ رواه مسلم (5).

يقرب من السلامة، وينأى عن العطب.

قال الله _تعالى_: ﴿ ﴾ **النساء:83.**

قال الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي × في تفسير هذه الآية: =هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم _أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم: أهل الرأي، والعلم، والنصح، والعقل، والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها.

فإذا رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم، وتحرزاً من أعدائهم _فعلوا ذلك، وإن رأوا ما ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه.

ولهذا قال: [ ].

أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يُتقدم بين أيديهم؛ فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمـرُ بالتأمـل قبـل الكلام، والنظـر فيـه هـل هـو مصـلحة فيقـدم عليـه الإنسـان أم لا فيحجم عنه؟+.[1]

وقـال × فـي موضـع آخـر حاثـاً علـى الثبـت، والتدبر، والتأمل قال: =وفي قوله _تعـالى_: [illegible] **طـه: 114** أدبُ طالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تـدبره للعلـم، ولا يستعجل بالحكم علـى الأشـياء، ولا يعجـب بنفسـه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل+.[2]

وقــال × : =قــوله _تعــالى_: [illegible] **النـور:12** هذا إرشاد منـه لعبـاده إذا سـمعوا الأقـوال القادحـة فـي إخوانهم المؤمنين رجعوا إلى ما علموا مـن إيمـانهم، وإلــى ظــاهر أحــوالهم، ولــم يلتفتــوا إلــى أقــوال القــادحين، بــل رجعــوا إلــى الأصــل ، وأنكــروا مــا ينافيه+.[3]

قال ابن حبان × :=أنشـدني منصـور بـن محمـد الكريزي:

الرفــقُ أيمــنُ شــيءٍ ... والخُرق أشأمُ شيء يُقْدِم
أنـــــت تَتْبَعُـــــه ... الـــــــــــــــــرَّجُلا
وذو التثبت مِـن حمـد ... مـــن يركـــبِ الرفـــقَ لا
إلـــــى ظَفَـــــرٍ ... يســـــتحقبِ الـــــزللا [1]

---

[1] _ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي ص154.
[2] _ فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للشيخ عبدالرحمن السعدي عناية الشيخ د. عبدالرزاق العباد ص161.
[3] _ فتح الرحيم الملك العلام ص162.

وأسرار

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه الفقرة في الفقرة الآتية.

24_ ألا يحرص على إبداء رأيه في كل أمر، وألا يقول كل ما يعلم: فاللائق بالواعظ أن ينظر في العواقب، وأن يراعي المصالح؛ فلا يحسن به أن يبدي رأيه في كل صغيرة وكبيرة، ولا يلزمه أن يتكلم بكل نازلة؛ لأنه ربما لم يتصور الأمر كما ينبغي، وربما أخطأ التقدير، وجانب الصواب، والعرب تقول في أمثالها:=الخطأ زاد العَجُول+. (1)

بخلاف ما إذا تريث وتأنى؛ فإن ذلك أدعى لصفاء القريحة، وأحرى لأنْ يختمر الرأي في الذهن، وأخلقُ بالسلامة من الخطأ.

والعرب تمدح من يتريَّث، ويتأني، ويقلِّب الأمور ظهراً لبطن، وتقول فيه: =إنه لحُوَّلٌ قُلَّب+. (2)

بل ليس من الحكمة أن يبدي الإنسان رأيه في كل ما يعلم حتى ولو كان متأنياً في حكمه، مصيباً في رأيه؛ فما كل رأي يُجهر به، ولا كل ما يعلم يقال.

بل الحكمة تقتضي أن يحتفظ الإنسان بآرائه إلا إذا استدعى المقام ذلك، واقتضته الحكمة والمصلحة.

وزن الكلام إذا نطقت ... يبدي العقولَ أو العيوبَ المنطقُ
فإنما ... فإنما

قال أحد الحكماء: =إن لابتداء الكلام فتنةً تروق وجدَّةً تعجب؛ فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس_ فليعدِ النظر، وليكن فرحُه بإحسانه مساوياً لغمِّه بإساءته+. (3)

---

[1] _ روضة العقلاء ص 216.
[1] _ مجمع الأمثال للميداني 1/431.
[2] _ الأمثال لأبي عبيد ص100.
[3] _ زهر الآدب للحصري القيرواني 1/154.

وقال ابن حبان ×: =الرافق لا يكـاد يُسْـبَق كمـا أن العَجِل لا يكاد يَلْحَق وكما أن مـن سـكت لا يكـاد يندم كذَلك من نطق لا يكاد يسلم.

والعَجِـل يقـول قبـل أن يعلـم، ويجيـب قبـل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجـرب، ويـذم بعـد مـا يحمـد، ويعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم.

والعَجِل تصحبه النِدامة، وتعتزله السلامة، وكانت العرب تُكَنِّي العجلةَ أمَّ الندامات+. [1]

وذكر بسنده عن عمر بن حبيب قال: =كان يقال: لا يوجد العجول محموداً، ولا الغضـوب مسـروراً، ولا الحر حريصاً، ولا الكريم حسوداً، ولا الشَّره غنيـاً، ولا الملول ذا إخوان+. [2]

ولهـذا تتـابعت نصـائح الحكمـاء علـى الـتريث خصوصاً عند إرادة الإقدام علـى مواقـع الخطـر، قـال المتنبي:

الـرأي قبـل شـجاعة الشـــــــجعان	هـو أول وهـي المحـل الثـــــــــــاني
فـإذا همـا اجتمعـا لنفـــــسٍ مُـــــرَّة	حازت مـن العليـاء كـل مكـــــــــان [3]

وقال:

وكـل شـجاعة فـي المـــــرء تغنـــــي	ولا مثل الشـجاعة فـي الحكيـــــــــــم [4]

25_ التمهيد والتدرج في العرض: مثـال ذلـك أن يقصـد الـواعظ إلـى أمـر فيـه مشـقة، فيضـع أمـامه تمهيـداً يخفـف وقعـه،ويقلـل شـأنه،حـتى لا تكـبره

[1] _ روضة العقلاء ص216.
[2] _ روضة العقلاء ص 217.
[3] _ ديوان المتنبي بشرح العكبري 4 /174.
[4] _ ديوان المتنبي 4/120.

النفوس، وترتخي دونه العزائم خوراً.

ومثال هذا ما سلكه التنزيل في التكليف بفريضة الصيام؛ حيث شرعه أولاً في أمر مجمل فقال: ﴿ ﴾ **البقرة:183.**

وذكر أن هذا النوع من القربة قد فُرض على الأمم السالفة، فقال _تعالى_: ﴿ ﴾ **البقرة:183.**

فهو عملٌ مألوف، وشريعة غير خاصة، وفي هذه التذكرة ما يُدْخله في قبيل السنن الجارية، ويجعله أمراً هيناً.

ثم أشعرهم بأن أيامه في الحساب قليلة فقال_تعالى_: ﴿ ﴾ **البقرة:184.**

وبعد أن هيَّأ النفوس لقبول فريضته قال: ﴿ ﴾ **البقرة:185.**

وجرى التنزيل على هذه السنة عند الترغيب في أمر صعب المركب، شديد الأثر على النفس، وهو الصبر على الأذى، ومقابلة الإساءة بالعفو؛ فأمر بالعدل في المجازاة، ونهى عن تجاوز المثل في العقوبة، فقال: ﴿ ﴾ **النحل:126** ثم بين في قوله_تعالى_: ﴿ ﴾ **النحل:126** أن الأكمل لهم الإغضاءُ عن السيئة، وترك المؤاخذة عليها؛ فالصفح عن الأذى _مع القدرة على الانتقام_ ضربٌ من الكرم، ومظهرٌ من مظاهر الرحمة، وأخذٌ بالعزيمة الراشدة.

ثم قال _تعالى_: ﴿ ﴾

﴿ ﴾ **النحل:127** فرغَّب في الصبر بطريق أبلغ؛ إذ وجَّه الخطاب إلى الرسول " وهو أسرع الناس إلى الاستقامة على الطريقة؛ فيجدون مِنْ سُنَّة التأسي به نشاطاً للطاعة، وباعثاً على التجمل بالصبر، وإن ثقلت على النفوس وطْأتُه.

ومن هذا القبيل تذكير الناس بعاقبة العمل الصالح وإن كان شاقاً على النفوس، كما قال _تعالى_ في شأن الجهاد: ﴿ ﴾ **.**

ثم بين _عز وجل_ ثقله على النفوس بقوله: ﴿ ﴾ **.**

ثم بين أن المكروه قد يكون هو الخيرَ فقال: ﴿ ﴾ **البقرة:216.**

وبيَّن أن الدعة وترك الجهاد محبوب للنفوس، ولكن ذلك المحبوب قد يكون شراً، فقال: ﴿ ﴾ **البقرة:216.**

ومن حسن السياسة_أيضاً_ألا يجهر الواعظ _أحياناً_ برأيه الصريح في صدر مقاله، خصوصاً إذا كان يريد طَرْحَ أمرٍ لم يألفه الناس.

وإنما يبتدئ بما يخف على المخاطبين سماعه من المعاني الحائمة حول الغرض، ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل، ويدنو من إيضاحه شيئاً فشيئاً؛ حتى لايفصح عنه إلا وقد ألفته نفوسهم، وهدأت له خواطرهم.

وعلى هذه الطريقة جرى ذلك المؤمن من آل فرعون؛ فقد كان يكتم إيمانه، وهو يحب أن يظهره، ويدعو قومه إلى مثله، وكان يخشى _من التصريح بعقيدته_ بادرة غضبهم، أو انتقامهم منه، حتى اغتنم

وقت إجماعهم على قتل موسى _عليه السلام_ فرصة، وقام ينكر عليهم هذه المؤامرة المخزية، وتخلّص إلى أن دعاهم إلى الإيمان بما بُعِث به هذا الرسولُ دعوةً ظاهرة.

قال _تعالى_: ﴿ ﴾ **غافر:28.**

فقد فاتحهم بالإنكار على قتله وهو لا يدل على أنه مصدق برسالته؛ إذ قد ينهى العاقل عن سفك دم الرجل أو اضطهاده وهو من أبغض الناس إليه؛ تألماً من مشهد الظلم، أو حذراً مما ينشأ عنه من فتنة.

ودل بقوله: ﴿ ﴾ على ما لهذا الرجل من فضل في العقيدة، وأومأ إلى أنه لم يجئ شيئاً نكراً يستحق به هذه العقوبة الصارمة، وذكّرهم إذ قال: ﴿ ﴾ بالدلائل القائمة على صدقه في دعوى الرسالة، وقد أخذ يتقرب بهذه الجملة في دعوتهم إلى الإيمان به، ولم يرد التظاهر بأنه من شيعته، فعزل نفسه عمن جاءهم بهذه البينات، وأضاف مجيئها إليهم خاصة، ثم استرسل في موعظته المنسوجة في أدب الإنصاف إلى أن صدع ببطلان نِحْلتهم، ودعاهم إلى دين الحق بقوله الصريح _كما في قوله تعالى فيما يقصه عنه_: ﴿ ﴾

□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ **غافر.**[1]

ومن التمهيد والتدرج في العرض تنزيل الأمر على أحوال السامعين، كأن يقول: ألا يحب الواحد منا أن يعيش عزيزاً ذا كرامة؟ ألا يحب أن يكون بعيداً عن مواطن الهوان؟ ثم يخلص من ذلك إلى أن الإيمان والعمل الصالح كفيلان بذلك.

أو أن يقول: أيرضى الواحد منا بالدنية، أيرضى بأن يساء إليه؟ أو أن يساء إلى والديه؟ أو إخوانه؟ أو أولاده؟

والجواب _بلا شك_ سيكون : لا.

فيقال: وكذلك الناس.

ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة في قصة الشاب الذي استأذن النبيَّ " في الزنا، فتدرج معه النبي " في خمسة أسئلة حتى اقتنع الفتى بحرمة الزنا، وخرج وقد طابت نفسه.

قال أبو أمامة ÷: = إن فتى شاباً أتى النبي " فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا؛ فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: ادْنه، فدنا قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه

---

[1] _ انظر رسائل الإصلاح ص29_ 32.

لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه؛ فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء+. [1]

26_ براعة الأسلوب، ومراعاة مقتضيات الأحوال: فذلك مما يأخذ بالألباب، ويجعل الموعظة تأخذ طريقها إلى القلوب؛ فالعمل على إنقاذ النفوس من أودية الغواية، والإقبال بها إلى مطالع السعادة مسلك وعر، ولا يمر فيه على استقامة تامة إلا من بلغ في صناعة البيان أمداً قصياً.

ولا يكفي في الدعوة أن يكون في يد القائم بها حجة، أو موعظةٌ يلقيها في أي صورة شاء؛ ذلك أن المخاطبين يختلفون ذوقاً، وثقافةً، واختلافَ زمنٍ وبيئةٍ.

ومن اللائق أن تصاغ دعوةُ كلِّ طائفةٍ في أدب يليق بأذواقها وثقافتها؛ ذلك أن الموعظة ثقيلة على السمع، مُسْتَحْرَجة على النفس؛ لاعتراضها الشهوة، ومضادتها للهوى، حتى قال يونس بن عبيد: =لو أمرنا بالجزع لصبرنا+. [2]

يشير إلى ثقل الموعظة على السمع، وجنوح النفس على مخالفتها.

ولكنَّ صَوْغَها بأسلوب رائع يجعلها خفيفةً على السمع، سهلة النفوذ إلى القلب.

وقد تكون معانيْ الموعظةِ حاضرةً في ذهن الشخص، ولا يجد في نفسه تأثراً بها، حتى إذا

---

[1] _ أحمد 5 /ـ 256، 257، وقال الألباني في الصحيحة (370): =وهذا سنده سند صحيح، رجاله كلهم رجال الصحيح+.

[2] _ بهجة المجالس لابن عبدالبر 3/364،وانظر البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي 9/ 138.

عُرِضت عليه تلك المعاني في أسلوب بارع وقعت منه موقع الإعجاب، حتى لكأنها معانٍ جديدةٌ لم يسبق له بها علم. [1]

ولا غرو إذاً أن ترى الرجلين يلقيان موعظةً في باب واحد، وفي غرض واحد وبينهما في التأثير ما بين السماء والأرض، وربما كان ذلك يسبب أسلوب العرض؛ فترى أن نفوس الناس قد أقبلت على أحدهما، وأساغت موعظته إساغة الظمآن للماء القراح، وتراها جَفَتْ وجفلت عن موعظة الآخر؛ فزلّت عن القلوب كما زلت الصفواء بالمتنزّل.

ولهذا كان حرياً بالواعظ أن يكون ذا دراية بأحوال الناس،وأن يصوغ موعظته بما تقتضيه تلك الحال؛ فالناس مختلفون مشاربَ وعاداتٍ، وأخلاقاً وسناً، ومهنةً ومرتبةً، ولكل طائفة من الناس أحوال تقتضي نوعاً من الخطاب لا تقتضيه أحوال الجماعة الأخرى؛ فالجماعة الثائرة _مثلاً_ تخاطب بعبارة هادئة؛ لتكون برداً وسلاماً على القلوب.

والجماعة الخَنِسة تخاطب بعبارات مثيرة للحمية، موقظة للهمة، حافزة للعزيمة.

والجماعة التي شطت وركبت رأسها تخاطب بعبارة فيها قوة العزم، ونور الحق، وفيها إرعادة المُنذر، وَيَقَظةُ المنقذ، وفيها روح الرحمة وحسن الإيثار؛ ليجتمع الترغيب مع الترهيب، ومع سيف النقمة ريحان الرحمة.

ثم إن الشباب يثير حماسهم، ويوقظ قلوبهم، ويدفع إلى إقناعهم خطاب لا يثير عاطفة الشيوخ؛ لأن الملائم لهؤلاء نوعٌ غيرُه.

---

[1] _ انظر الدعوة والإصلاح ص25_26، و65.

والأغنياء يلائمهم نوع من الكلام لا يقتضيه مقام الموعظة لمن ليسوا كذلك.

والعلماء يجتذبهم التوقير، وعمق الكلام، ودقته.

وموعظة الرؤساء تقتضي تجملاً بالحياء، والرزانة، والركانة، والهدوء، كما تقتضي ابتعاداً عن التملق المرزي، وعن أي مظهر من مظاهر التعالي، وتقتضي أخذاً بالتلطف، وحسن المدخل، والتلميح بالاعتراض إن كان هناك ما يقتضي ذلك.

وهكذا لكل جماعة نوع من الخطاب؛ فعلى الواعظ أن يجيء إليه من ناحيته؛ فذلك أدعى إلى وصوله إلى مراده. [1]

ثم إن نفراً من الناس غير قليل يستهويهم رونقُ الألفاظ أكثر من حكمة معانيها؛ فلا ينبغي أن نستخف بهؤلاء، وأن ندعهم لِعُصْبة المضلين يعرضون عليهم الآراءَ المنحدرةَ في شقاء.

وإذا لم يكن لأولئك المضلين سبيلٌ على المستضعفين سوى أنهم يحبِّرون لهم القول تحبيراً _فمن الميسور على دعاة الإصلاح أن يسابقوهم في مضمار البراعة؛ فإنهم متى ألبسوا الدعوة إلى الحق والفضيلة أساليب بديعة أحرزوا الغاية، وأنقذوا أولئك المستضعفين من ضلال بعيد.[2]

ولا يعني ذلك أن يتكلف الواعظ السجع، ويتحرى دقائق الإعراب، ووحشيَّ اللغة.

وإنما المقصود أن يلبس موعظته ثوباً جميلاً يُفهم، ويستحسن، ويقع موقعه في القلوب.

فهاهو ابن الجوزي × وهو الإمام المتمرس في الوعظ وأساليبه _ يقول: =فالتحقيق مع العوام

---

[1] _ انظر الخطابة ص 43.

[2] _ انظر الدعوة والإصلاح ص 53_ 54.

صعب، ولا يكادون ينتفعون بِمُرِّ الحقِّ، إلا أن الواعظ مأمور بأن لا يتعدى الصواب، ولا يتعرض لما يفسدهم، بل يجذبهم إلى ما يصلح بألطف وجه.

وهذ يحتاج إلى صناعة؛ فإن مِنَ العوام مَنْ يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيت شعر.

وأحوج الناس إلى البلاغة الواعظ؛ ليجمع مطالبهم.

ولكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر المِلح في الطعام، ثم يجتذبهم إلى العزائم، ويعرفهم الطريق الحق+.[1]

هذا وسيأتي مزيد بسط للأساليب التي يحسن سلوكها في الموعظة في الفقرات التالية.

27_ حسن الاستفتاح: فمن أراد أن يجعل لموعظته افتتاحاً حَسُنَ أن يعنى به تمام العناية، وأن يجمله بما يستطيع من وسائل التجميل المناسبة، التي تجتذب الأذهان، وتهيئ الأسماع، وتقود النفوس إلى الإقبال عليه، وإلى أن تتقبله بقبول حسن؛ فإن الفكرة الأولى عن شيء، أو أمر، أو شخص تثبت وتَقِرُّ بالنفس.

ومحوها يحتاج إلى عناء؛ فإن كانت حسنة صَعُب تهجينها، وإن كانت سيئة صعب تزيينها.

والافتتاح _إن وجد_ أولُ ما يلقى به الواعظ الجماعة؛ فإن وقع في نفوسهم موقع القبول كانت الموعظة على غراره، واستطاع من خلاله أن يصل قلوبهم.

وإن لم يصادف قبولاً صعبت الحال، واحتاج الأمر

---

[1] _ صيد الخاطر لابن الجوزي ص 187_188.

إلى خبير بأحوال النفوس، حاذق في طُرُق العلاج، ووسائل الشفاء من ذلك النّفار وهذا الشّماس.[2]

قال أبو هلال العسكري _رحمه الله_ :=إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً ورشيقاً كان داعيةَ الاستماع لما يجيء بعده من الكلام.

ولهذا المعنى يقول الله _عز وجل_: ﴿ ﷺ ﴾، و ﴿ ﷺ ﴾، و﴿ ﷺ ﴾، و﴿ ﷺ ﴾ .

فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد؛ ليكون ذلك داعيةً لهم إلى الاستماع لما بعده، والله أعلم بكتابه.

ولهذا جعل أكثر الابتداءات بـ: ﴿ ﷺ ﴾ لأن النفوس تتشوق للثناء على الله؛ فهو داعيةُ الاستماع+. [1]

هذا وإن الخطباء يختلفون في استفتاحاتهم؛ فمنهم من يستفتحها بما يشير إلى موضوعها، ويلوِّح بالقصد منها.

ومنهم من يبتدئ خطبته بآية ،أو حديث، أو حكمة، أو مثل سائر.

ومن الأساليب البديعة ما يبتدئ به بعضهم؛ حيث يبتدئ بالثناء على السامعين؛ ليهيء نفوسهم لتلقي كلامه بالقبول؛ إذ لا شيء يهز أعطاف السامعين كالثناء عليهم، خصوصاً إذا كان من غريب عنهم.

وذلك باب واسع يصح الدخول فيه بشرط الاتزان، وضبط النفس.

ومنهم من يتودد للسامعين، ويتواضع لهم، ويخاطبهم بأحسن صفاتهم، ويشعرهم بمحبتهم، وأنه ساعٍ لما فيه مصلحتهم.

---

[2] _ انظر الخطابة ص79.

[1] _ كتاب الصناعتين ص 437.

ومهما يكن من أمر الافتتاح فينبغي أن يكون قصيراً موجزاً؛ لئلا يشغل الذهن، ويضيع الوقت.

وينبغي _أيضاً_ أن لا يكون مبتذلاً تمجه الأسماع، ولا تسيغه النفوس.

ثم إن الافتتاح قد لا يلزم خصوصاً إذا أراد الإيجاز، بل يدخل في الموضوع مباشرة.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن يتجنب الواعظ ما يزعج السامعين في مفتتح كلامه، كما كان الحجاج بن يوسف يفعل في افتتاح خطبه؛ حيث كان يبدأ بما يزعج السامعين كقوله في أحد افتتاحاته:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضعِ العمامة تعرفوني[1]

ومما ينبغي _أيضاً_ أن يتجنب كل ما يُستقبح ويستجفى من الكلام.

ولهذا عني علماء البلاغة في مبادئ الكلام، وعقدوا له الفصول في كتبهم، ونبهوا على ما ينبغي للكاتب، والشاعر، والخطيب في هذا الشأن.

قال أبو هلال العسكري ×: =قال بعض الكتاب: أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات؛ فإنهن دلائل البيان.

وقالوا: ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يُتطير منه، ويُستجفى من الكلام والمخاطبة، والبكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتيت الألاف، ونعي الشباب، وذم الزمان لا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني، ويستعمل ذلك في المراثي، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تَطَيَّر منه

---

[1] _ انظر الخطابة 82 _ 83.

سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح+. [1]

ثم ضرب × أمثلة على ذلك، منها قوله: =أنشد البحتري أبا سعيد قصيدة أولها:

لك الويل من ليلٍ ووشْكُ نوى حيٍّ تزمَّ
تطاول آخرهْ أباعره

فقال أبو سعيد: بل الويل والحرب لك، فغيره، وجعله: =له الويل+ وهو رديء _أيضاً_.

وأنشد أبو مقاتل الداعيَ:

لا تقل بُشرى ولكن غرةُ الداعي ويومُ
بُشْريانْ المهرجان

فأوجعه الداعي ضرباً، ثم قال: هَلا قلت:
إن تقل بشرى فعندي بشريان+. [2]

ثم ذكر أبو هلال × أمثلة لابتداءات جياد، ومن ذلك قوله: =ومن أحكم ابتداءات العرب قول السموأل:

إذا المرء لم يدنس من فكل رداء يرتديه
اللؤم عِرْضَه جميل
وإن هو لم يحمل على فليس إلى حسن
النفس ضيمها الثناء سبيل [3]

وقال بعضهم: أحكم ابتداءاتهم قول لبيد ÷:

ألا كل شيء ما خلا وكل نعيم لا محالة
الله باطل زائل

وبعضهم يجعل ابتداءات هذه القصيدة:

ألا تسألان المرء ماذا أَنَحْبٌ فَيُقضى أم ضلالٌ
يحاول وباطل [4]

---

[1] _ كتاب الصناعتين ص 431.
[2] _ كتاب الصناعتين ص432.
[3] _ كتاب الصناعتين ص433.
[4] _ كتاب الصناعتين ص434.

ومما ينبغي تَجَنُّبُهُ في مفتتح الموعظة تحريج المخاطبين، وإلزامهم بسماع الموعظة، وتخويفهم من القيام قبل أن يكمل موعظته خصوصاً إذا كانت مفاجئة وعلى غير موعد.

وذلك كأن يبدأ كلامه بإيراد ما يخوفهم من ترك سماع الموعظة، أو أن يقول إذا بدأ ثمَّ رأى بعض الحاضرين قد انصرف: [illegible] **المدثر:49.**

أو أن يقول في بداية كلامه: من كان يحب الله ورسوله فليجلس إلى غير ذلك من الافتتاحات التي تغلق القلوب، وتُنفِّر من سماع الموعظة.

28_ حسن الختام: فالخاتمة هي آخر ما يلقيه الواعظ من كلامه، ولها الأثر البالغ الباقي؛ إذ هي آخر ما يَعْلَق بالنفس، وأكثر ما يتصل بالقلب.

فإن كان وقعها حسناً انسحب ذلك على الموعظة، وإلا ساء الأثر، وضاعت الغاية المنشودة.

ومما يحسن في الخاتمة أن تشتمل على جمال العبارة، وإصابة الغرض، وأن تتضمن إيجازاً لما ألقي، وأن تكون محركة للعاطفة.

29_ التنويع في أساليب الخطاب:فمما يحسن بالواعظ أن يأخذ بهذه الطريقة، فأحياناً يأتي بكلامه بصورة الاستفهام، وأخرى بصورة التقرير، وثالثة في صورة الطلب، ورابعة بإشارة، وخامسة بنداء، وهكذا...

ويحسن به _أيضاً_ أن يغير ولو قليلاً _من نبرة صوته؛ ليكون ذلك مدعاة لتنشيط السامعين، وإيقاظ الغافلين. [1]

وسيأتي مزيد بيان لهذه الفقرة فيما بعد.

---

[1] _ انظر الخطابة ص66.

30 _ الترسل في الكلام وإلقاؤه مفصلاً دون إبطاءٍ أو تعجيل : فيحسن بالواعظ أن يكون مترسلاً في كلامه، متمهلاً في إلقائه، وأن تكون موعظته متمايزة الحروف، مُفَصَّلة الكلمات؛ فمن متممات الفصاحة ألا يعجل الرجل بالكلام، بل يلقي الكلمات مفصلة حتى تقع في الذهن كأنها عِقْدُ جِيْدٍ أُحْكِمَ تَنْسيقُه.

ويحسن بالواعظ _أيضاً_ ألا يبطِّئ في كلامه إبطاءاً يخرجه عن طوره، ويجلب السآمة للسامعين؛ فالترسل والتمهل دون إبطاء أو تعجيل هو هدي النبي " في كلامه، ومواعظه.

قالت أم المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_: =كان النبي " يحدِّث حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه+.[1]

وقالت: =إن رسول الله " لم يكن يسرد الحديث كسردكم+.[2]

قال ابن حجر × في شرح الحديث الأول: =قولها: =لو عده العاد لأحصاه+:أي لو عدَّ كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك،وبلغ آخرها.

والمراد بذلك المبالغة في الترتيل، والتفهيم+.[3]

وقال _رحمه الله_ في شرح الحديث الثاني: =قولها: =لم يكن يسرد الحديث كسردكم+: أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلا يلتبس على المستمع+.[4]

وجاء في سنن أبي داود عن جابر ÷ قال: =كان

---

[1] _ أخرجه البخاري (3567)، ومسلم (2493).
[2] _ أخرجه البخاري (3568)، ومسلم (2493).
[3] _ 4_ فتح الباري 6 / 669.

في كلام رسول الله " ترتيل، أو ترسيل+. [1]

وفيه أيضاً عن عائشة _رضي اللـه عنهـا_ قـالت: =كان كلام رسول الله " كلاماً فصْلاً يفهمه كل من سمعه+. [2]

قـال أبـو هلال العسـكري ×: =علامـةُ سـكونِ نَفْس الخطيب ورباطة جأشـه _هـدوءه فـي كلامـه، وتمهله في منطقه.

قال ثمامة: كان يحيى بن جعفر أنْطَقَ الناس؛ فقد جمع الهدوء، والتمهل، والجزالة، والحلاوة.

ولو كان في الأرض ناطق يسـتغني عـن الإشـارة لكانه+. [3]

وقـال ابـن جماعـة × فـي أدب المتكلـم: =ولا يسرد الكلام سرداً، بل يرتِّله ويرتبـه، ويتمهـل فيـه، ليفكر فيه هو وسامعه+. [4]

31_ ملاحظة نبرة الصوت : ويراعى في ذلك أن تكون مسموعة بوضوح، وأن تكون وسطاً بين رفـع الصـوت الـذي يَخْـرُج بصـاحبه عـن طـوره ويـؤذي المخـاطبين، وبيـن رخـاوة الصـوت الـتي تفقـد الموعظة أثرها، وتجلب التماوت للسامعين.

وقد يوهب بعض الناس صوتاً جهورياً فيحسن بـه أن يضبط نبرة صوته؛ حتى لا يرتفع أكثر مـن اللازم خصوصاً مع وجود المكبرات.

ومنهـم مـن صـوته خـافتٌ جـداً؛ فيحسـن بـه أن

---

[1] _ أبو داود (4838)، وقال الألباني فـي صـحيح الجـامع (4823): =حسن+.

[2] _ أبو داود (4839)، وقال الألباني فـي صـحيح الجـامع (4826): =حسن+.

[3] _ كتاب الصناعتين ص 22_23.

[4] _ تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص57.

يحاول إسماع المخاطبين قدر استطاعته.

وبالجملة فإن الاعتدال في رفع الصوت وخفضه هو المطلوب.

قال ابن جماعة ×: =ألا يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة، ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة+. [1]

وقال: =والأولى ألا يجاوز صوته مجلسه، ولا يَقْصُرَ عن سماع الحاضرين؛ فإن حضر معهم ثقيل السمع فلا بأس بِعلو صوته بقدر ما يُسمعه+. [2]

ثم إن الواعظ البارع يستطيع التحكم بنبرة صوته؛ فحين يَحْسُن رفع الصوت فإنه يرفعه، وحين يحسن خفضه يخفضه.

جاء في صحيح مسلم عن النبي " أنه إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. [3]

32_ حسن الاستخدام للتكرار: فإن للتكرار أثراً كبيراً في جذب الانتباه، وتأكيد المعاني، وتقريرها في الأذهان.

والواعظ البارع يحسن استخدام التكرار، ويوقعه في مواقعه اللائقة به؛ فإذا استدعى المقام التكرار، وكان فيه مزيد فائدة وتأكيد وتقرير كان لائقاً حسناً.

وذلك كأن يكون في الكلام موضع اهتمام، ويخشى أن يمر على أذهان السامعين دون أن يستقر في نفوسهم.

وإذا كان التكرار بهذه المثابة فإن يحسن

---

[1] _ تذكرة السامع والمتكلم ص 74.
[2] _ تذكرة السامع والمتكلم ص75.
[3] _ مسلم (867).

بـالواعظ أن يأخـذ بـه عنـد الحاجـة مـا لـم يجـد أن المقام يستدعي الإيجاز.

ولقد كان النبي " يأخذ بهذا الأسلوب، وربما أعاد الجملة ثلاث مرات إذا كان المقام يقتضي ذلك. [1]

ولهذا عقد الإمـام البخـاري × فـي صـحيحه بابـاً بعنوان : =باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه+.

وساق فيه عدة أحاديث، منها مـا رواه عـن أنـس ÷ عن النبي": =أنه كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثـاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً+. [2]

وعن أنس _أيضاً_ عن النبي ": =أنه كان إذا تكلـم بكلمة أعادها ثلاثاً؛ حتى تُفْهم عنه+ الحديث. [3]

وعن عبدالله بن عمرو _رضي الله عنهمـا_ قـال تخلف رسول الله " في سفر سافرناه، فأدْرَكَنا وقد أرهقْنا الصلاة _صلاة العصر_ ونحن نتوضـأ، فجعلنـا نمسـح علـى أرجلنـا، فنـادى بـأعلى صـوته: =ويـلٌ للأعقاب من النار+ مرتين أو ثلاثاً. [4]

والأحاديث في ذلك كثيرة منها قوله: =ألا وقــول الزور، فما زال يكررها+.[5]

وقال ابن عمر _رضي الله عنهما_ قـال النـبي ": =هل بلَّغت+ ثلاثاً. [6]

وعن عبـدالله بـن عمـر _رضـي اللـه عنهمـا_ عـن النبي " قال: =لا صام من صـام الأبـد، لا صـام مـن صام الأبد، لا صام من صام الأبد+. [7]

---

[1] _ انظر محمد رسول الله ص 185، والخطابة ص66.
[2] _ البخاري (94).
[3] _ البخاري (95).
[4] _ البخاري (96)، ومسلم (241).
[5] _ البخاري (2586).
[6] _ رواه البخاري (1742).
[7] _ رواه مسلم (1159).

ومن الأساليب الملائمة في التكرار، أن يكون بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة، وأن يكون النظر فيه إلى المعنى من جوانب متعددة.

أما إذا لم يكن هناك حاجة للتكرار فلا يحسن بالواعظ أن يأخذ به؛ لأنه والحالة هذه يعد من عيوب الكلام، ومما يورث الملالة، ويولد السآمة.

وذلك كحال من يعيد الكلام أو القصة، أو بعض الجمل في الموعظة دون مسوغ لذلك، أو أن يعيد الموعظة بعينها بعد فترة وجيزة في المكان الذي ألقاها فيه؛ فالنفوس تكره المعاد، وتمل المكرر، إذا لم يكن هناك داع له.

=قال محمد بن صبيح المعروف بالسَّماك لجاريته: كيف ترين ما أعظ الناس؟

قالت: هو حسن، إلا أنك تكرره.

قال: إنما أكرره؛ ليفهمه من لم يكن فهمه.

قالت: إلى أن يفهمه البطيء يثقل على سماع الذكي+. [1]

=واستعيد[2] ابن عباس حديثاً، فقال: لولا أني أخاف أن أغضَّ من بهائه، وأريق من مائه، وأخْلِقَ من جدِّته_لأعدتُه+. [3]

وقال أبو تمام يصف قصائده:

منزهة من السَّرق المؤرَّى ... مكرمة عن المعنى المعاد [4]

وقال آخر:

---

[1] _ زهر الأدب 1 / 196.

[2] _ استعيد: طلب منه الإعادة.

[3] _ زهر الأدب 1 / 196.

[4] _ ديوان أبي تمام بشرح التبريزي 1/382.

إذا تحدثت فـي قـوم؛ مــن الحــديث بمــا
لتؤنســـــــــــهم يمضــي ومــا يــاتي
فلا تكــررْ حــديثاً إن موكّـــلٌ بمعـــاداة
طَبْعَهُـــــــــــــمُ المعـــــــادات [5]

ومما يحسن التنبيه عليه أنه لا بأس بتكرار الموعظة الواحدة في أكثر من مكان؛ لأن الحاجة قد تقتضي ذلك، ولا يلزم الواعظ أن يأتي بموعظة جديدة في كل مكان.

بل عليه ألا يضيق ذرعاً بإعادة ما يقول، أو تكراره للموعظة إذا ألقاها في أماكن متعددة، أو ألبسها ثياباً جديدة ملائمة.

33_ توشيح الموعظة بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة: فيحسن بالموعظة أن تُجمَّل بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة؛ فالكتاب العزيز، والحديث الشريف هما الذروة في البلاغة، وفيهما اللفظ الجزل، والأسلوب الرائع، والسلامة من الخطأ.

كما أن لهما قوة في التأثير، ورنيناً في الآذان، ورهبة في القلوب، وجمالاً في الأنفس، وبهجة في المشاعر.

وفيهما فصل الخطاب، وقطع كل جواب، والرد على كل اعتراض.

فلا يليق _إذاً_ أن تخلوا الموعظة من إيراد الآيات والأحاديث فيها.

وكانوا يسمون الخطبة التي تخلوا من ذلك: =الشوهاء+.

قال الجاحظ: =وعلى أن خطباء السلف الطيب،

---

[5] _ إصلاح المجتمع ص360.

وأهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد، وتستفتح بالتحميد: =البتراء+.

ويسمون التي لم توشح بالقرآن،وتزيَّن بالصلاة على النبي"=الشوهاء+.

وقال عمران بن حطان: خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أُقَصِّرْ فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة؛ فمررت ببعض المجالس، فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن.

وخطب أعرابي، فلما أعجله بعضُ الأمر عن التصدير بالتحميد، والاستفتاح بالتمجيد قال: =أما بعد بغير ملالة لذكر الله، ولا إيثار غيره عليه فإنا نقول: بكذا، ونسأل كذا+؛ فراراً من أن تكون خطبته بتراء، أو شوهاء+.[1]

34_ سَوْقُ القصص الصحيحة المؤثرة: فالقصص تحمل في طياتها الدروس، والعبر، كما أنها سبيل التأسي، وطريق النظر في العواقب.

والقرآن الكريم حافل بالقصص التي وردت في مواضع متعددة، وفي سياقات مختلفة.

ومن تلك القصص قصص الأنبياء_عليهم السلام_ كقصة نوح، وإبراهيم، ويوسف، وموسى وعيسى وغيرهم.

ومن ذلك قصص الطواغيت، وأئمة الكفر كفرعون، وقارون، وهامان، وغيرهم.

وكذلك السنة النبوية فهي مليئة بالقصص.

فيحسن بالواعظ أن يأخذ بهذا الأسلوب في بعض الأحيان، وأن يحرص على صحة القصة التي

---

[1] _ البيان والتبيين 2 / 6.

يسوقها.

كما يحسن أن ينـوع فـي القصـص، وأن يسـتنبط منها العبر، والدروس؛ فيورد _على سـبيل المثـال_ قصص أهل الإيمان، وما حصل لهم من البلاء وكيف كانت العاقبة لهم.

ويسوق قصص أهل الكفر والفسـوق ومـاذا حـل بهم من الشقاء، وما ينتظرهم في الآخرة مـن أليـم العقاب وهكذا...

ويجمل به أن يربط ذلك بحاضر الناس، وأن يبين ما يحل بمـن طغـى وتجـبر وآثـر الحيـاة الـدنيا مـن المَثُلات.

ويحسـن بـه ألا يبـالغ فـي إيـراد القصـص، وأن يتجنـب مـا ليـس صـحيحاً منهـا، أو مـا يظـن أن السامعين لن يصدقوه إذا قالها.

35_ توشية الموعظـة بـالحكم الرائعـة، والأشـعار الجميلـة الرائقـة: فـذلك ممـا تهـتز لـه النفـوس، ويحسـن وقعـه فـي الأسـماع، خصوصـاً إذا كـان الاستشهاد بهـا مناسـباً ملائمـاً؛ فيحسـن أن تُجَمَّـل المواعظ العامة أحياناً بما يناسـب المقـام، ويتصـل بالموضوع.

قال محمـد بـن سـلام عـن بعـض أشـياخه قـال: =كان عمر بن الخطاب ÷ لا يكاد يعرض له أمـر إلا أنشد فيه بيت شعر+. [1]

وكثيراً ما يَنْهَضُ الرجل للعمل الصالح يكون فـي غفلـة عنـه، ومـا ينبهـه إلا بيـت شـعر يحتـوي علـى حكمة.

قـال ابـن جريـج ×: =مـا ظننـت أن اللـه _عـز وجل_ ينفع أحداً بشـعر عمـر بـن أبـي ربيعـة حـتى

---

[1] _ البيان والتبيين 1 /241.

رر
وأسرا
ر

سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

بالله قولي له في غيـر	مـــاذا أردتَ بطـــول
مَعْتَبَـــــــــــــةٍ	المُكْـثِ فـي اليمـن
إن كنتَ حاولت دنيـا أو	فما أخذتَ بترك الحج
نَعِمْـــــتَ بهـــــا	مـــــن ثمـــــن

فحركني ذلك على الرجـوع إلـى مكـة، فخرجـت مع الحاج وحججت+.[1]

وجاء هذا الخبر في وفيات الأعيان أن ابن جريـج قال: =كنت مع معن بن زائدة باليمن فحضر وقـت الحج، ولم تحضرني نية، فخطر ببالي قول عمر بـن أبي ربيعة المخزومي:

بالله قولي له فـي غيـر	مـــاذا أردت بطـــول
مَعْتَبَـــــــــــــةٍ	المكـث فـي اليمـن
إن كنتَ حـاولتَ دنيـا أو	فما أخذتَ بترك الحج
نَعِمْـــــتَ بهـــــا	مـــــن ثمـــــن

قال: فدخلت على معن، فأخبرته أنـي قـد عزمـت علـى الحـج، فقـال لـي: مـا يـدعوك إليـه ولـم تكـن تذكره؟

فقلت: ذكرت بيتين لعمر بـن أبـي ربيعـة، أنشـدته إياها، فجهزني، وانطلقت+.[2]

36_ صـوغ التشـابيه، وضـرب الأمثلـة: فمـن الأساليب الناجعة النافعة في الوعظ صوغ التشـابيه البديعة، وضرب الأمثلة الرائعة.

وللتشبيه، والتمثيل أثر كـبير فـي جعـل الحقـائق الخفية واضحة، والمعاني الغريبة قريبة مألوفة.

وعلى هذا النحو تجري كثير من نصوص الوحيين.

---

[1] _ الأغاني للأصفهاني 1 / 111_ 112.

[2] _ وفيات الأعيان لابن خلكان 1/512،وانظر نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص 31_32.

قال الله _تعالى_ في شأن المنافقين: [illegible] البقرة:17.

وقال النبي " في شأن المؤمنين وتآلفهم: =مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى+. [1]

ثم إن للأمثال فوائد أخرى؛ فمن ذلك أن المثل يضرب للترغيب في المُمَثَّل به؛ حيث يكون مما تستحسنه النفوس، وتَرْغَبُ فيه.

ومن ذلك ما ضربه الله _عز وجل_ لحال المنفق في سبيل الله؛ حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير فقال _تعالى_: [illegible] البقرة:261.

وقد يضرب المثل للتنفير من العمل؛ حيث يكون المُمَثَّل به مما تكرهه النفوس، وتنفر منه كما ضرب الله المثل لحال المغتاب فقال _تعالى_: [illegible] الحجرات:12.

ويضرب المثل لمدح المُمَثَّل؛ حيث يكون في الممثل به صفاتٌ تستحسنها النفوس، وتمدح من يحرز مثلها، كما ضرب الله مثلاً لحال الصحابة _رضي الله عنهم_ فقال _عز وجل_: [illegible] الفتح:29.

---

[1] _ أخرجه البخاري (6011)، ومسلم (258).

فالزرع يخرج شطأه، وهو ما تفرع في شـاطئيه: أي جوانبه، ثم يقوى، ويستغلظ: أي يصير بعد الدقـة غليظاً، وكذلك حـال الصـحابة؛ فـإنهم كـانوا فـي بـدء الأمر قليلاً، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب؛ إعجاباً بهم.

ويضرب المثل للذم حيث يكون للممثَّـل بـه صـفة يستقبحها الناس، ويذمون من رضي لنفسـه بمثلهـا، كما ضرب الله مثلاً لحال من آتاه الله كتابه، فنكث يـده مـن العمـل بـه، وانحـط فـي أهـوائه، فقـال _تعـالى_: ﴿ ﴾ **الأعراف: 176.**

فقد مثل الله _عـز وجـل_ فـي هـذه الآيـة بحـال الكلب الذي هو من أخبث الحيـوان وأخسـها نفسـاً؛ ذلـك أن المنحـط فـي أهـوائه شـديد اللهـف علـى الدنيا، قليل الصبر عنها، فلهفـه نظيـر لهـث الكلـب الدائم في حال إزعاجه وتركه.

وبالجملـةٍ فـالكلام علـى أمثلـة القـرآن والسـنة كـثيرة جـداً، والمقصـود مـن ذلـك بيـان أن ضـرب الأمثـال سـلاحٌ مـاضٍ فـي يـد الـواعظ إذا أحسـن استخدامه. [1]

37_ الحرص على الإعـراب، والبعـد عـن اللحـن قـدر المسـتطاع: فـالإعراب عمـاد الكلام، وجمـاله

---

[1] _ انظر كتاب الصناعتين ص239 _ 259، ومحمد رسول الله ص 114، وبلاغة القرآن للشيخ محمد الخضر حسين ص 28_40.

ووَشْـيُه؛ فيحسـن بـالواعظ أن يحـرص علـى تقـويم لسـانه وأن يتجنـب اللحـن خصوصـاً إذا كـان يحيـل المعنـى؛ فـالإعراب، وقلـة اللحـن يضـفيان علـى الموعظة جمالاً، وقبولاً _خصوصاً إذا كانت بين أناس يدركون ذلك_.

ولا يعني ذلك أن تصـرف الهمـةُ إلـى الإعـراب، أو أن يتكلف الإنسان ذلك أكـثر مـن اللازم، أو ألا يلقـي الواعظ موعظته إلا إذا كان متمكناً من الإعراب.

وإنما المقصود من ذلك السعي إلـى الكمـال قـدر المستطاع.

38_ التذكير بمآلات الأمور: فمن الطرق المجديـة في الوعظ تذكير الناس بما يصير إليـه المتقـون مـن عزٍّ وسلامة، وما يلحق المجرمين مـن خـزيٍ ومهانـة وندامة.

ومن التـذكير مـا يرجـع إلـى البشـارة بـالخير فـي الـدنيا، والحسـنى فـي الآخـرة، ومنـه مـا يرجـع إلـى الإنذار بسوء المنقلب في هذه الدار، أو عذاب الهون في تلك الدار.

وللبشارة والإنذار أثر كبير في حث المؤمنين على الحسنات، وردعهم عن السيئات.

وأثـر البشـارة والإنـذار فـي غيـر المـؤمن أنهمـا يدعوانه إلى النظر في الدعوة، وإذا نظر بروية أدرك أنها حق؛ فيفتح لها صدره، ويمدُّ لها عنقه مذعناً. [1]

39_ اعطاء الوسـائل صـورة مـا تُفضـي إليـه مـن الخير والشر: فهذا الأسلوب من الطرق الحكيمة في الحث على فعل الشيء، أو الزجر عنه.

ويشـهد لـذلك كـثير مـن النصـوص، منهـا قـوله ": =الدال على الخير كفاعله+.[2]

فقد أراك الدلالة على فعل الخير في صـورة فعـل

[1] _ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 111_112.

الخير نفسه؛ إذ جعلها بوسيلة التشبيه بمنزلة واحدة، وذلك مما يقوي داعية الدلالة على الخير في نفسك.

وكما قال ": =إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه+

قيل: يا رسول الله! وكيف يلعن الرجل والديه؟

قال: =يسب الرجل أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسب أمَّه، فيسب أمَّه+.[1]

فانظر كيف عدَّ سبَّ الرجلِ لأبي الرجل أو أمه في صورة سب الرجل لوالديه، وفي ذلك من تأكيد الزجر عن إطلاق اللسان بالسب ما لا تجده في النهي عن سب الناس بطريق غير هذا الطريق. [2]

40_ قرن القول ببعض الإشارات الحسية التي تناسب المعنى: فهذا مما يزيد به المعنى جلاءاً، ويأخذ في النفس صورةً غير صورته المجردة عن الإشارة.

ولقد كان النبي " يستعين في تثبيت المعنى بالإشارة بيده إشارة مناسبة للمعنى، مما يجعل للموعظة أثراً بليغاً في النفوس.

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي " قال: =إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً+ وشبك بين أصابعه.[3]

وفي صحيح البخاري عن سهل ÷ قال رسول

---

[2] _ أخرجه أحمد 5/274، وقال الألباني في صحيح الجامع:(33) =صحيح+، ورواه مسلم (1893) بلفظ =من دل على خير فله مثل أجر فاعله+.

[1] _ أخرجه البخاري (5973)، ومسلم (90).

[2] _ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 115.

[3] _ البخاري (481 و 2446 و 6026)، ومسلم (2585).

الله " =أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئاً+.[1]

وعن ابن عمر _رضي الله عنهما_ أن رسول الله " قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: =الفتنة من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان+ قالها مرتين أوثلاثاً.[2]

41_ توجيه السؤال للمخاطبين: وذلك بسؤالهم عن الشيء الذي يريد تعليمهم إياه، أو تذكيرهم به؛ لما في السؤال من تهيئة النفوس للإصغاء إلى ما يقال بعد ذلك، ولما فيه _أيضاً_ من تشويقها إليه؛ فيقع منها في قرار مكين.

ولقد كان النبي " يأخذ بهذا الأسلوب كثيراً.

جاء في الصحيحين عن معاذ بن جبل ÷ أنه قال: =كنت رديف النبي " على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟+.

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: =فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً+.

فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟

قال: =لا تبشرهم فيتكلوا+.[3]

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ومنها على سبيل الإجمال قوله ": =أتدرون أي شهر هذا؟+.[4]

---

[1] _ البخاري (5304 و 6005).
[2] _ رواه البخاري (3104 و 7093)، ومسلم (2905).
[3] _ البخاري (2856)، ومسلم (30).
[4] _ رواه البخاري (6043).

وقوله: =أتدرون أي يوم هذا؟+.[1]
وقوله: =أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟+.[2]
وقوله: =أتدرون ماذا قال ربكم؟+.[3]
وقوله: =أتدرون أين تغرب الشمس؟+.[4]

ومما يحسن التنبيه عليه أن هذا الأدب يليق إذا صدر من كبير لمن دونه، وإذا صدر ممن له مكانة، وقبول عند الناس عموماً، أو عند مَنْ يلقي عليهم.

أما من كان في بداية وعظه، أو حداثة سنه، أو من ليست له مكانة عند من يلقي عليهم _فقد لا يليق به هذا الأسلوب؛ لأن النفوس قد لا تستسيغ أن يوجه إليها السؤال من كل أحد.

42_ استدعاء طلب البيان: وهذا الأسلوب قريب مما قبله.

وذلك أن يأتي الواعظ بالكلام على وجه الغموض يستدعي به طلب البيان، حتى إذا سئل عن ذلك، أو شعر بحاجة المخاطبين إلى الجواب _أجاب عن ذلك، وكشف الغموض، فيتقرر المعنى في نفوسهم بأشد مما لو أتى من أول الأمر واضحاً بيناً.[5]

ومن هذا الباب قوله ": =انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً+.

فقال رجل: يا رسول الله! انصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟

قال: =تحجزه، أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك

---

[1] _ رواه البخاري (1741).
[2] _ رواه البخاري (50).
[3] _ رواه البخاري (4147).
[4] _ رواه البخاري (4802).
[5] _ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص 116.

نصره+. [1]

وفي رواية =تأخذ فوق يديه+. [2]

43_ إثارة العواطف، ومخاطبة الوجدان: ذلك أن مرمى الإقناع في الوعظ ليس هو الإلزام والإفحام فحسب، وإنما مرماه حمل المخاطب على الإذعان، والتسليم بطوعه، وإرادته.

وذلك لا يتسنى بسوق الدلائل المنطقية جافة، ولا بإيراد البراهين العقلية عارية، بل بذلك وبإثارة العاطفة، ومخاطبة الوجدان.

بل قد يستغني الواعظ عن الدلائل العقلية، ولا يمكنه بأية حال أن يستغني عن المثيرات العاطفية؛ إذ هي من أعظم الأدوات التي تعينه على التأثير في السامعين. [3]

44_ استعمال أسلوب النداء، ومناداة المخاطبين بما يحبون: وذلك بشد انتباه المخاطبين، واستدعاء استجابتهم بنداءات يطلقها الواعظ في ثنايا حديثه بين الفينة والأخرى.

ومن ذلك أن يقول:أيها المؤمنون،أيها الناس،معاشر المسلمين،أيها الإخوة.

وإن كان هناك نسوة وجه النداء إليهن؛ ففي ذلك تنبيه، وتشويق، وتغيير لنمط الحديث.

ولقد تكرر هذا المعنى كثيراً في القرآن والسنة.

ومن ذلك قوله _تعالى_: ﴿ ﴾ **آل عمران:102.**

وقوله _عز وجل_: ﴿ ﴾

---

[1] _ رواه البخاري (6952).

[2] _ رواه البخاري (2444).

[3] _ انظر الخطابة ص 53.

رر
وأسرا
ر

[illegible] **النساء:1** الآية.

والأمثلة من السنة على ذلك كثيرة، ومنها على سبيل الإيجاز ما يلي:

قال _عليه الصلاة والسلام_: =أيها الناس اربعوا على أنفسكم+. [1]

وقال: =أيها الناس إليَّ+. [2]

وقال: =أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي+. [3]

وقال: =أيها الناس تصدقوا+. [4]

وقال: =أيها الناس عليكم بالسكينة+. [5]

وقال: =أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو+. [6]

وقال: =يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج+. [7]

وقال: =يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب؟+. [8]

وقال: =يا معشر النساء تصدقن+. [9]

وقال: =يا معشر يهود أسلموا تسلموا+. [10]

ومن اللطف في الموعظة أن ينادي الواعظ من يعظهم بلقبهم الشريف، وأن ينعتهم بوصف شأنُه

---

[1] _ رواه البخاري (6384).
[2] _ رواه البخاري (927).
[3] _ رواه البخاري (917).
[4] _ رواه البخاري (1462).
[5] _ رواه البخاري (1671).
[6] _ رواه البخاري (2966).
[7] _ رواه البخاري (5065).
[8] _ رواه البخاري (7523).
[9] _ رواه البخاري (304 و 1462).
[10] _ رواه البخاري (6944).

أن يبعث صاحبه على قبول الموعظة.

وهذا الأدب مقتبس من مثل قوله _تعالى_: ﴿ ﴾، وقوله _عز وجل_: ﴿ ﴾، وقوله: ﴿ ﴾، وقوله: ﴿ ﴾.

وقد وصف النبي " هرقل في كتاب دعوته إلى الإسلام بعظيم الروم. [1]

45_ الجمع بين الخوف والرجاء: فلا بدَّ للواعظ أن يجمع بين هذين الأمرين في موعظته؛ إذ هما جناحا العبادة، ولا تستقيم أحوال العباد إلا بالجمع بينهما، والواعظ الحكيم يحسن الجمع بينهما في موعظته؛ لأن الخوف يردعهم عن التمادي في المعاصي، والرجاء يفتح لهم أبواب التوبة،والإقبال على العمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ×: =فلا يحل لأحد أن يَقْنَط من رحمة الله ولا أن يُقَنِّط الناس من رحمته؛ لذا قال بعض السلف: وإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجرؤهم على معاصي الله+.[2]

قال الله _عز وجل_: ﴿ ﴾ **الحجر.**

ومن فقه الإمام مسلم × أنه ساق في صحيحه حديثين عظيمين متتاليين: أحدهما يناسب الخوف وهو حديث المرأة التي سجنت الهرة، والآخر يناسب الرجاء وهو حديث المرأة البغي التي سقت

---

[1] _ انظر صحيح البخاري (2940 و 4553).

[2] _ التوبة والاستغفار لابن تيمية تحقيق الحجاجي، وبدران ص 27_28، وانظر الاستقامة لابن تيمية 2 / 190.

كلباً.

وإليك الحديثين مع تعليق الزهري ×.

قال النبي":=عذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار؛لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض+.[1]

وقَالَ ": =بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ[2] بِرُكِيَّةٍ[3] كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[4]، واستَقَت له بِه، فَسَقَتْهُ إياه، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ+.[5]

قال الزهري ×: =لئلا يتكل رجل، ولا ييأس رجل+.[6]

46_ مراعاة المصالح والمفاسد: فلا يكفي مجرد سرد النصوص، وتنزيلها على أحوال معينة، خصوصاً عند الفتن واشتباه الأمور.

ولا يكفي إلقاء الكلمة دونما نظر في عواقبها، وما تحدثه من أثر.

بل لابدَّ من الرَّويَّة، والاستنارة بأقوال أهل العلم، واستشارة أهل الفقه والبصيرة، ولابد من النظر في المصالح والمفاسد.

قال الشيخ السعدي ×: =قوله :□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□ □□ □ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ **الأعلى:9** مفهوم الآية أنه إذا ترتب على التذكير مضرة أرجح تُرِكَ التذكير؛ خوف وقوع المنكر+.[7]

---

[1] _ مسلم (2242).
[2] _ يطيف: يدور.
[3] _ الركية: البئر.
[4] _ الموق: الخف.
[5] _ مسلم (2245).
[6] _ مسلم (2619).
[7] _ فتح الرحيم الملك العلام ص164.

وقال ابن القيم ×:=فإذا كان إنكار المُنْكَرِ يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله فإنَه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه، ويمقت أهله+.

وقال: =ومن تأمل ما جرى في الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر،فطلب إزالته، فتولَّد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله " يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها+.

بل لما فتح الله مكة، وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت، وردِّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك _مع قدرته عليه_ خشيةُ وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر+. [1]

وقال ×: =فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضدُّه

والثانية: أن يَقِلَّ، وإن لم يزل بالجملة.

الثالثة: أن يخلَفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شرٌ منه.

فالدرجاتان الأوليان مشروعتان، والثالثة محلُّ اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون الشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النُّشاب، وسباق الخيل، ونحو ذلك.

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو، أو لعب، أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم إلى طاعة الله فهو المراد.

---

[1] _ إعلام الموقعين لابن القيم 3 / 6.

وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تُفرغَهم لما هو أعظم من ذلك؛ فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك.

وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها، وخِفتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فَدَعْهُ وكتبه الأولى، وهذا باب واسع.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية _قدس الله روحه ونوَّر ضريحة_ يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم مَنْ كان معي؛ فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر؛ لأنها تصد عن ذكره وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال؛ فَدَعْهم+. [1]

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذا في الفقرة التالية.

47 _ تحديث الناس بما يعقلون: فمن السياسة والحكمة في الدعوة أن يخاطب كل قوم بما يفهمون، وأن يُتَحامى مخاطبةُ أحدٍ بما لا يحتمله عقله؛ فذلك أدعى لقبول الموعظة، والبعد عن مواطن النفرة والتكذيب.

قال أمير المؤمنين علي ÷ :=حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!+. [2]

وقال ابن مسعود ÷: =ما أنت بمحدِّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة+. [3]

وقال ابن الجوزي × : =من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله عقولهم، أو بما قد رسخ

---

[1] _ إعلام الموقعين 3/ 6 _ 7.
[2] _ أخرجه البخاري (127).
[3] _ أخرجه مسلم في مقدمة صحيحة (5).

في نفوسهم ضده+. [1]

وقال: =فالله الله أن تحدث مخلوقاً من العوام بما لا يحتمله دون احتيال وتلطف؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدِّث له بنفسه+. [2]

ومما يعين على فهم السامعين، وعَقْلهم لما يلقى إليهم، ووقوعه في قرارات نفوسهم _أن تكون الموعظة بألفاظ مأنوسة، وتأليف محكم، ومعانٍ بارزة.

وهكذا كانت مواعظ النبي " وخطبه؛ فهي مصوغة بألفاظ مألوفة، ومعانٍ قريبة المأخذ.

وهي مع قرب معانيها من أذهان الجمهور قد حازت في مراقي البلاغة الأمد الأسمى. [3]

قال أبو هلال العسكري ×: =فمدار البلاغة على تخيُّرِ اللفظ، وتخيُّرُه أصعب من جمعه وتأليفه+. [4]

وقال: =قال أبو داود: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدَّرَبة، وجناحها رواية الكلام،وحَلْيها الإعراب،وبهاؤها تخير الكلام، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه+. [5]

ولهذا فإن الواعظ البارع هو الذي يصوغ موعظته بما تحتمله العقول؛ فللعامة لغة، وللخاصة لغة، وللكبار لغة، وللصغار لغة، وللرجال لغة، وللنساء لغة، وهكذا، وقد مرَّ شيء من هذا القبيل في فقرة ماضية.

ومن تحديث الناس بما يعقلون أن تكون الموعظة ملائمة لكافة الطبقات؛ إذ هي تلقى على طبقات من

---

[1] _ صيد الخاطر ص74.
[2] _ صيد الخاطر 75.
[3] _ انظر محمد رسول الله وخاتم النبين ص185.
[4] _ كتاب الصناعتين ص23.
[5] _ كتاب الصناعتين ص 58.

الناس متفاوتة في العلم والفهم؛ فيحسن بالواعظ ألا يتعرض في موعظته إلى المسائل التي قد يتعثر فهمها على كثير منهم، أو أن يتناولوها على غير وجهها.

وكانت خطب الرسول " جارية على هذا النحو؛ بحيث يستوي في فهمها الطبقاتُ المختلفةُ دون أن يجدوا فيها ما ينبو عنه الفكر، أو يحار فيه العقل. [1]

ولقد كان الصحابة _رضي الله عنهم_ يراعون هذا الأدب الحكيم؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: =كنت أُقْرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف،فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجةٍ حجها إذ رجع إليَّ عبدالرحمن فقال لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؛ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة، فتمت.

فغضب عمر ثم قال: إني _إن شاء الله_ لقائمٌ العشيةَ في الناس، فمحذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم

قال عبدالرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رَعاعَ الناس وغوغاءهم؛ فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيِّرها عنك كل مُطَيِّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها؛ فأمْهِلْ حتى تَقْدُمَ المدينة؛ فإنها دار الهجرة والسنة فَتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

---

[1] _ انظر محمد رسول الله ص187.

فقال عمر:أما والله_إن شاء الله_لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة+ الحديث.[1]

ومما يحسن في هذا الصدد أنْ يُبْتَعَد عن مواطن الخلاف؛ فإن ذكره قد لا يناسب الموعظة؛ لأنها تُلقى على عامة، وقد يكون ذلك مضلّة لأفهامهم، مبعداً لهم عن الهدى.

48_ الاعتدال في الطرح، والحذر من المبالغة وتضخيم الأمور: فيحسن بالواعظ أن يكون مُتَّزناً في طرحه بعيداً عن التهويل والتهوين؛ لأن الحقيقة تضيع بين ذلك، والعرب تقول في أمثالها: =خير الناس هذا النمط الأوسط+.

يعني بين المقصر والغالي.[2]

ومما يدل على حكمة الواعظ، ورجحان عقله، وحرصه على الحقيقة _لزومُه الاعتدال، وألا يسرف في مدح ولا ذم، ولا في وعد ولا وعيد؛ فإن الإسراف مظنَّةُ الكذب، والاعتدال مظنة الصدق.

49_ انشراح الصدر للنقد الهادف: فالواعظ المخلص من يسعى لإرضاء الله _جل وعلا_ فتراه يبذل كل سبب في سبيل نفع الناس؛ ابتغاء الأجر من الله؛ ولهذا لاتراه يتأذى من ملحوظة تقدم إليه ولو صاغها مقدِّمُها في جفاء وغلظة؛ بل تراه يفرح بالنقد الهادف كفرحه بالثناء الصادق، بل ربما طلب ذلك من غيره، وهذا مما يرفع قدره، ويرتقي بعلمه، ووعظه.

وهذا هو دأب الأكابر والعظماء.

قال عمر بن عبدالعزيز لمولاه مزاحم _رحمهما الله_: =إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا

---

[1] _ البخاري (6830).

[2] _ مجمع الأمثال للميداني 1 /432.

أجعلك عيني على نفسي؛ فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها، أو أفعالاً لا تحبها _فعظني عنده، وانهني عنه+. [1]

50_ الإقبال على الله، وإحسان معاملته _عز وجل_: فذلك من أعظم الأسرار لنجاح الواعظ، ومن أكبر أسباب توفيقه وإعانته، وإقبال الناس عليه.

قال أبو حازم ×: =لا يحسن عبدٌ فيما بينه وبين الله _تعالى_ إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد، ولا يعوِّر[2] فيما بينه وبين الله _تعالى_ إلا عوَّر الله فيما بينه وبين العباد،ولمُصَانَعَةُ وجهٍ واحدٍ أيسر من مصانعة الوجوه كلِّها؛ إنك إن صانعت الله مالت الوجوه كلُّها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك الوجوه كلُّها+. [3]

وقال ابن الجوزي ×: =وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص، وتحبه أوتأباه، وتذمه، أو تمدحه وفْق ما يتحقق بينه وبين الله _تعالى_ فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر.

وما أصلح عبدٌ ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده، وعاد حامده ذماً+. [4]

وقال ×: =فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبة، فاللهَ اللهَ في السرائر؛ فإنه ما ينفع مع فسادها صلاحُ ظاهرٍ+. [5]

51_ احتساب الأجر: فالواعظ الناصح المخلص

---

[1] _ عيون الأخبار 2/18.
[2] _ يعور: يهدم ويفسد.
[3] _ سير أعلام النبلاء للذهبي 6 / 100.
[4] _ صيد الخاطر 108_ 109.
[5] _ صيد الخاطر ص355.

يلقي الموعظة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، وربما كانت سبباً لهداية ضال، أو ردع متمادٍ، أو انهاض متكاسل، أو فتح باب من أبواب الخير، أو إغلاق لباب من أبواب الشر؛ فإذا ألقى الناس السمع للواعظ أفادوا منه كلٌّ بحسبه.

ولا ريب أن الدال على الخير كفاعله، فكم من الأجور العظيمة المتنوعة التي ينالها الواعظ من جراء وعظه وتذكيره، وهذا مما يبعثه إلى مزيد من البذل، ومضاعفة الجهد.

52_ ألا ينتظر الواعظ الشكر إلا من خالقه: لا ريب أن شكر الناس من شكر الله، وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

ولا ريب أن شكر المحسن على إحسانه مطلوب، وأنه مما تنشرح له الصدور، وتزداد إقبالاً على إقبال.

ولا أحد أحسنُ قولاً، ولا أولى بأن يشكره غيرهُ من الداعي إلى الله؛ إذ هو الذي يقدم للناس حياتهم الحقة.

﴿ ﴾ **فصلت:33.**

ولكن قد يحصل في بعض الأحيان أن يُقَابَل الواعظ بشيء من الجحود، والكنود، والجفاء.

فإذا مرت بك هذه الحال _أيها الواعظ_ فلم تُنصَف، ولم تعط قدرك، وردَّ عليك فضلك باليمين والشمال _ فلا يَكْبُرْ ذلك في صدرك ويحملْك على ترك الوعظ، والنصح، بل قابل ذلك بصدر رحب، ونفسٍ راضية، وانتظر الشكر من خالقك؛ فعملك _هذا_ ﴿ ﴾ **طه:52.**

قال ابن حزم × بعد أن تحدث عن مذاهب الناس في طرد الهم: =وجدت العمل للآخرة _سالماً من كل عيب، خالصاً من كل كدر _موصلاً إلى طرد الهم على الحقيقة.

ووجدتُ العامل للآخرة إن امتُحن بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسُرُّ؛ إذ رجاؤه في عاقبة ما ينال عونٌ له على ما يطلب، وزايدٌ في الغرض الذي إياه يقصد.

ووجدتُه إن عاقه عما هو بسبيله عائق لم يهتم؛ إذ ليس مؤاخذاً بذلك؛ فهو غيرُ مُؤثِرٍ في ما يطلب.

ورأيته إن قُصِد بالأذى سُرَّ، وإن نَكبته نكبةٌ سرَّ، وإن تعب فيما سلك فيهِ سرَّ؛ فهو في سرورٍ أبداً، وغيره بخلاف ذلك أبداً؛ فاعلم أنه مطلوب واحد، وهو طرد الهم، وليس إليه إلا طريق واحد، وهو العمل لله _تعالى_.

فما عدا هذا فسخفٌ وضلال+. [1]

53_ الحذر من الورع الخادع الكاذب: ومن ذلك أن يَدَعَ الداعيْ الوعظ؛ حذراً من أن يخالط قصدَه الرياءُ، والتطلع للسمعة؛ فيقلُص نور إخلاصه، ويفوته ثواب الله في الدار الآخرة.

ولا ريب أن شأن الإخلاص عظيم، وأن عليه مدارَ العمل.

ولكنَّ ترك الدعوة بمثل هذا الوسواس ورعٌ خادع.

وما على الواعظ إلا أن يجاهد نفسه، وأن يأخذها بالإخلاص ما استطاع؛ فمخافة الرياء تجاه فائدة الدعوة إلى الخير لاغيةٌ؛ لأن تلك المخافة متوقعة، وفائدة الدعوة حاصلة _بإذن الله_؛ فلا تُقَدَّمُ المفسدةُ المتوقعة على الفائدة الحاصلة.

---

[1] _ الأخلاق والسير ص63

ولـو ركـن كـلّ داعٍ إلـى هـذا الخـاطر لتعطلـت الدعوة، ولقلـت المجاهـدة، ولظفـر الشـيطان بمـا أراد.

ومما يجدر التنبيه عليه أن الخوف من الرياء إنما يعظم في بدايات الإنسان الأولى؛ فإذا استمر علـى دعوته، ووعظه، ونفعه للناس لم يكد ذلـك الخـاطر يَمُرُّ على باله.

وإليك هذه النصيحة الذهبية من إمام الوعظ فـي زمانه الإمام ابن الجوزي × حيث يقول: =ما زالـت نفسي تنازعني بمـا يـوجبه مجلـسُ الـوعظ، وتوبـةُ التائبين، ورؤية الزاهدين _إلى الزهـد والانقطـاع عـن الخلق، والانفراد بالآخرة.

فتأمَّلتُ ذلك، فوجدت عمومه من الشيطان؛ فإن الشيطان يرى أنه لا يخلو لـي مجلـسٌ مـن خلـق لا يحصون يبكون ويندبون على ذنـوبهم، ويقـوم _فـي الغالب_ جماعـةٌ يتوبـون، ويقطعـون شـعور الصِّبا، وربما اتفق خمسون ومائة.

ولقد تاب عندي في بعض الأيام أكـثر مـن مائـة، وعمومهم صبيان قد نُشِّؤوا على اللعب، والانهمـاك في المعاصي.

فكأن الشـيطان _لبعـد غـوره فـي الشـر_ رآنـي أجتذب إليَّ من أجتذب منه؛ فأراد أن يشـغلني عـن ذلك بما يزخرفه؛ ليخلوَ هو بمن اجتذِبه من يده.

ولقد حسَّن ليَ الانقطاع عن المجالس، وقـال: لا يخلو من تَصنُّع للخلق.

فقلت:أما زخرفة الألفظ وتزويقها،وإخراج المعنـى من مستحسن العبارة _ ففضيلة لا رذيلة.

وأمـا أن أقصـد النـاس بمـا لا يجـوز فـي الشـرع

_فمعاذ الله+ [1]

إلى أن قال ×: =وأما الانقطاع فينبغي أن تكون العزلة عن الشر لا عـن الخيـر، والعزلـة عـن الشـر واجبة على كل حال.

وأما تعليم الطالبين، وهداية المريدين فـإنه عبـادة العالم.

وإن من تغفيل بعض العلماء إيثارَه للتنفل بالصـلاة والصوم عن تصنيف الكتاب، أو تعليم علـم ينفـع؛ لأن ذلك بذرٌ يكثر ريعُه، ويمتد زمان نفعه.

وإنما تميل النفس إلى ما يزخرفـه الشـيطان مـن ذلك لمعنيين:

أحدهما: حب البطالة؛ لأن الانقطاع عندها أسهل.

والثاني: حـب المِدْحَـة؛ فإنهـا إذا توسَّـمت بالزهـد كان ميل العوام إليها أكثر.

فعليك بالنظر في الشَّرب الأول؛ فكن من الشَّرب المتقدم وهم الرسول " وأصحابه _رضي الله عنهم_.

فهل نقل عن أحد منهم ما ابتدعه جهلةُ المتزهدين والمتصوفه من الانقطـاع عـن العلـم، والانفـراد عـن الخلق؟!

وهل كان شغل الأنبيـاء إلا معانـاة الخلـق، وحثهـم على الخير، ونهيهم على الشر؟!

إلا أن ينقطـع مـن ليـس بعـالم بقصـد الكـف عـن الشر؛ فـذاك مرتبـة المحتمـي يخـاف شـر التخليـط؛ فأما الطبيب العالم بما يتناوله فإنه ينتفع بمـا ينـاله+ [2]

54_ الحذر من اليأس: فربما بذل الواعظ نصـحه، وحرص على هداية الناس.

وبعد ذلك قد لا يرى نتيجة الوعظ.

---

[1] _ صيد الخاطر ص88.

[2] _ صيد الخاطر 89_90.

وهذه فرصة الشيطان التي تجعله يلقي في رُوع الواعظ أنْ لا فائدة مما تقول، وأنه خيرٌ لك أن تدع الوعظ.

فيحسن بالواعظ أن يتفطن لهذا المدخل، وأن يحسن ظنه بالله، وأن يستحضر أن الموعظة الحسنة والعمل الصالح _عموماً_ لا يذهبان سدىً.

فإذا لم تظهر النتائج عاجلاً ظهرت آجلاً، وإذا لم يذهب الشرُّ كلُّه خف وقْعُه، ولم يستطر شررُه.

وربما لو تُرك الوعظ والإرشاد لتمادى الغافلون.

وكثيراً ما يستخف الناس بالأمر تلقى له الموعظة أو تؤلف فيه المقالة؛ فإذا تتابع الترغيب فيه، أو التحذير منه _وَلَوْ من الناصح الواحد_ أخذ الناس يُعنون بشأنه، ويتداعون للعمل به، أو الإقلاع عنه.

وما سطع الإيمان في نفسٍ إلا كانت كالبلد الطيب ﴿ ﴾ ؛ فابذر _أيها الواعظ_ في النفوس من الحكمة والموعظة الحسنة ما شئت أن تبذر؛ فلا تُريك إلا نِيَّاتٍ صالحةً، وأعمالاً راضيةً.

ثم إن مبلغ جهد الإنسان إنما هو البلاغ، والهداية بيد الله _عز وجل_ .

قال _عز وجل_: ﴿ ﴾ **الشورى: 49.**

وقال: ﴿ ﴾ **البقرة:272.**

وقال: ﴿ ﴾ **الشورى: 49.**

وقال: ﴿ ﴾ **يونس:99.**

55_ أن يستشعر الواعظ أنه هو المقصود الأول

من موعظته، وأنه مفتقر إلى الله _عز وجل_: فذلك يدعوه إلى ربط القول بالعمل، ويردعه عن التمادي في الإعجاب، ويبعثه إلى الانطراح بين يدي الله _عز وجل_ وسؤاله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين.

كما أن ذلك يقوده إلى التواضع، والزراية على النفس.

وكل ذلك من أسباب توفيقه وتسديده.

فما أجمل أن يكون الواعظ كثير الانكسار والتذلل لله _عز وجل_.

وما أروع أن يستحضر معنى قوله _عندما يقول في مستهل موعظته_: =أوصيكم ونفسي بتقوى الله _عز وجل_+.

ولقد كان العلماء الربانيون العالمون بالله وبأمره _عز وجل_ يأخذون بهذه السيرة؛ فتراهم يستشعرون بأنهم أولى الناس بالتذكرة، وأنهم أخوف الناس على أنفسهم، وأرجاهم لغيرهم.

قال أبو حازم سلمة بن دينار ×: =أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم+. [1]

ويقول مخاطباً نفسه مرزياً عليها: =يا أعرجُ! ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم، ثم ينادي: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم؛ فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة+. [2]

وقد رئي أبو الحسين الرازي ت 304 × في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: =غفر لي بقولي عند

---

[1] _ [2] _ مواعظ الإمام سلمة بن دينار للشيخ صالح الشامي ص 17.

المـوت: اللهـم إنـي نصـحت النـاس قـولاً، وخنـت نفسي فِعلاً؛ فهب خيانة فعلي لنصح قولي+. [1]

وهاهو ابن الجـوزي وهـو مـن أكـبر أئمـة الـوعظ يكثر البكـاء علـى نفسـه، واستشـعار تقصـيره فـي جنب الله _عز وجل_.

يقول ×: =إلهي! لا تعذِّبْ لساناً يخـبر عنـك، ولا عيناً تنظر إلى علومٍ تدُلُّ عليك، ولا يداً تكتب حـديث رسولك؛ فبعزتك لا تُدخلني النار+.[2]

ويقول مبتهلاً إلى الله _عز وجل_ =ارحم عـبرةً تـترقرق علـى مـا فاتهـا منـك، وكبـداً تحـترق علـى بعدها عنك+. [3]

وفي كتابه صـيد الخـاطر نمـاذج كـثيرة مـن هـذا القبيـل، وإليـك طرفـاً منهـا، يقـول ×:=إخـواني! لنفسـي أقـول؛ فمـن لـه شِـربٌ معـي فَلْيَـرِدْ: أيتهـا النفس! لقد أعطاكِ الله مـالم تـؤملي، وبلّغـكِ مـالم تطلبي، وستر عليك مـن قبيحـك مـا لـو فـاح ضـجت المشـامُّ،[4] فمـا هـذا الضـجيج مـن فـوات كمـال الأغراض أمملوكة أنـتِ أم حـرة؟! أمـا علمـتِ أنـك في دار التكليف؟!

وهـذا الخطـاب ينبغـي أن يكـون للجهـال فـأين دعواكِ المعرفة؟!.

أتراه لو هبَّت نفخـةٌ فأخـذتِ البصـرَ كيـف كـانت تطيب لك الدنيا؟!

---

[1] _ البداية والنهاية لابن كثير 11/127.
[2] _ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 1/422.
[3] _ المرجع السابق.
[4] _ المشام: الأنوف.

وا أسفاً عليكِ! لقد عشيتِ البصيرة التي هي أشرف، وما علمت كم أقول : عسى، ولعل، وأنت في الخطأ إلى قُدام.

قرُبتْ سفينة العمر من ساحل القبر ومالكِ في المركب بضاعةٌ تربح، تلاعبت في بحر العمر ريحُ الضعف؛ فغرَّقتْ تلفيق القوى، وكأنْ قد فَصَلَتِ المركب، بلغتِ نهايةَ الأجل وعينُ هواك تتلفَّتُ إلى الصبا!

بالله عليك لا تُشْمِتي بكَ الأعداء!

هذا أقل الأقسام، وأوفى منها أن أقول: بالله عليك لا يفوتنَّكِ قدمُ سابقٍ مع قدرتك على قطع المضمار.

الخلوةَ الخلوةَ،واستحضري قرين العقل،وجولي في حيرة الفكر،واستدركي صُبابة الأجل قبل أن تميل بك الصَّبابة [1] عن الصواب.

واعجباً! كلما صعِد العُمُرُ نزلتِ! وكلما جدَّ الموتُ هزلتِ!

أتراك ممن خُتم له بِفتنةٍ، وقضيت عليه عند آخر عمره المحنة؟!

كان أولُ عُمُركِ خيراً من الأخير، كنتِ في زمن الشباب أصلح في زمن أيام المشيب... [illegible] **العنكبوت:43.**

نسأل الله _عز وجل_ ما لا يحصل إلا به، وهو توفيقه، إنه سميع مجيب+[2]

---

[1] _ صُبابة الأجل: بقية العمر، والصَّبابة: الهوى.

[2] _ صيد الخاطر 340_342.

وقال ابن الجوزي × : =ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متكبر بوعظي لم تكن تسيل، ويحق لمن تَلمَّحَ هذا أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي.

ولقد جلستُ يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَن رقَّ قلبه، أو دمعت عينه فقلت لنفسي: كيف بك إن نجو وهلكتِ؟! فصحت بلسانِ وَجْدِي : إلهي وسيدي! إن قضيت عليَّ بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك، لا لأجلي؛ لأن لا يقولوا عَذَّبَ من دلَّ عليه.

إلهي قد قيل لنبيك " اقتل ابن أبيّ المنافق فقال: =لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه+[1]

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم فيَّ بكرمك أن تُعْلِمهم بعذاب الدليل عليك[2]، حاشاك والله يارب _من تكدير الصافي+.[3]

وقال× في موضع آخر: =تفكرت في نفسي يوماً تَفكُّرَ مُحَقِّقٍ فحاسبتها قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن؛ فرأيت اللطف الرباني.

فمنذ الطفولة وإلى الآن أرى لطفاً بعد لطف،

---

[1] _ رواه البخاري (3518)، ومسلم (6583).

[2] _ يعني ابن الجوزي نفسه.

[3] _ صيد الخاطر ص 397.

وستراً على قبيح، وعفواً عما يوجب عقوبة، وما أرى لذلك إلا شكراً باللسان.

ولقد تفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً، ولو كُشِفَ للناس بعضُها لاستحييت.

ولا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب حتى يظن فيَّ ما يظن في الفساق، بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي وقعت بتأويلات فاسدة؛ فصرت إذا دعوتُ أقول: اللهم بحمدك وسترك عليَّ اغفرلي.

ثم طالبت نفسي بالشكر على ذلك فما وجدته كما ينبغي.

ثم أنا أتقاضى القدرَ مراداتي، ولا أتقاضى بصبر على مكروه، ولا بشكر على نعمة؛ فأخذت أنوح على تقصيري في شكر المنعم، وكوني أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به، وقد كنت أرجو مقامات الكبار فذهب العمر وما حصل المقصود؛ فوجدت أبا الوفاء ابن عقيل قد ناح نحو ما نحتُ؛ فأعجبتني نياحته [1] فكتبتها ههنا.

قال لنفسه:يا رعناءُ! تقوِّمين الألفاظ؛ ليقال: مناظرٌ، وثمرة هذا أن يقال: يا مناظر، كما يقال للمصارع: الفارة.

ضيعت أعز الأشياء وأنفسها عند العقلاء _وهي آخر أيام العمر_ حتى شاع لك بين من يموت غداً اسم مناظر، ثم يُنسى الذاكر والمذكور إذا درست القلوب، هذا إن تأخر الأمر إلى موتك، بل ربما نشأ

---

[1] _ يعني بكاءه على نفسه، ولومها لتقصيرها في جنب الله.

شـابٌّ أفَـرَهُ منـكِ، فموَّهـوا لـه، وصـار الاسـم لـه، والعقلاء [1] عــن اللــه تشــاغلوا بمــا إذا انطــووا نَشَــرَهم[2]، وهــو العمــل بــالعلم، والنظــر الخــالص لنفوسهم.

أفٍّ لنفسي! وقد سطرت عدة مجلدات في فنـون [3] العلم، وما عبق بها ضيلة. [4]

إن نـوظِرَتْ شَـمَخَتْ، وإن نوصِـحَتْ تَعَجْرَفـتْ [5]، وإن لاحــت الــدنيا طــارتْ إليهــا طيــرانَ الرَّخَــمِ، وسقطتْ عليها سقوطَ الغراب علـى الجيـف؛ فليتهـا أَخَذَتْ أخذَ المضطر من الميتة، توفر فـي المخالطـة عيوباً تُبلى، ولا تحتشم نَظرَ الحقِّ إليهـا، وإن انكسـر لها غَرَضٌ تضجرت[6]، فإن أمِدَّت بالنعم اشتغلت عن المنعم.

أف واللـه منـي، اليـوم علـى وجـه الأرض وغـداً تحتها.

والله إن نَتَنَ جسدي بعد ثلاث تحت الـتراب أقـل من نتن خلائقي وأنا بين الأصحاب.

والله إنني قد بهرني حِلْمُ هذا الكريم عني؛ كيـف يستُرني وأنا أتهتك، ويجمعني وأنـا أتشـتَّت؟! وغـداً يقال: مات الحبر العالم الصالح، ولو عرفـوني حــق

---

[1] _ يعني بهم: الذين يعقلون عنه أمره ونهيه.

[2] _ يعني إذا ماتوا أحياهم، وجعل الناس يذكرونهم.

[3] _ لعله يشير إلى كتابه (الفنون) الذي بلغ ثمانمائة مجلد كما ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي في كتابه ذيل طبقات الحنابلة 1/ 156.

[4] _ يعني أنه ما استفاد مما علم، ولم يعلق به شئ من ذلك، وهذا من تواضعه.

[5] _ يعني تكبرت واستنكفت عن قبول الحق.

[6] _ يعني أن نفسه تضجر وتسخط إذا لم تأتها الأمور كما تريد.

معرفتي بنفسي ما دفنوني.

والله لأنادِيَنَّ على نفسي نداء المُكَشِّفين معائب الأعداء، ولأنوحنَّ نوح الثاكلين للأبناء؛ إذ لا نائح لي ينوح علي هذه المصائب المكتومة والخلال المغطاة التي قد سترها مَنْ خَبَرَها، وغطَّاها من علمها.

والله ما أجد لنفسي خَلَّةً استحسن أن أقول متوسلاً بها: اللهم اغفر لي كذا بكذا.

والله ما التفتُّ قط إلا وجدت منه _سبحانه_ براً يكفيني، ووقاية تحميني مع تسلط الأعداء، ولا عَرَضَتْ حاجةٌ فمددت يدي إلا قضاها.

هذا فعله معي وهو ربٌّ غني عني، وهذا فعلي وأنا عبد فقير إليه!!

ولا عذر لي فأقول: ما دريتُ، أوسهوتُ، والله لقد خلقني خلقاً صحيحاً سليماً، ونوَّر قلبي بالفطنة، حتى إن الغائباتِ والمكنوناتِ تنكشف لفهمي.

فوا حسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضا، وا حِرْمَاني لمقامات الرجال الفطناء، ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله، وا شَماتَة العدو بي، وا خيبةَ من أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارحُ عليّ، وا خذلاني عند إقامة الحجة.

سخر _والله _ مني الشيطان وأنا الفطِن.

اللهم توبةً خالصةً من هذه الأقذار، ونهضةً صادقةً لتصفية ما بقي من الأكدار، وقد جئتك بعد الخمسين وأنا من خَلَق المتاع، وأبى العلم إلا أن يأخذ بي إلى معدن الكرم، وليس لي وسيلةٌ إلا

التأسف والندم؛ فـوالله مـا عصـيتك جـاهلاً بمقـدار نعمك، ولا ناسياً لما أسلفت مـن كرمـك؛ فـاغفرلي سالف فعلي+.[1]

فهذا كلام ابن عقيل _رحمـه اللـه_ وهـذه زرايتـه علـى نفسـه مـع أنـه هـو هـو فـي العلـم والفضـل والتفنن، بل يكفي أنه كتب كتاب (الفنون) الذي بلغ ثمانمائة مجلد. [2]

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية × وهو من هـو فـي الزهد والعلم والورع والعبادة والجهاد هـاهو يضـرب مثالا رائعاً فـي المسْـكَنة، والا فتقـار، والتـذلل للـه _عز وجل_ .

يقول تلميذه العلامـة ابـن القيـم × فـي معـرض حديث لـه فـي منـز لـة الخشـوع فـي كتـابه المـاتع مـدارج السـالكين:=فلا شـيء أنفـع للصـادق مـن التحقق بالمسـكنة، والفاقـة والـذل، وأنـه لا شـيء، وأنه ممـن لـم يَصِـحَّ لـه بعـدُ الإسـلام حـتى يـدَّعي الشرف فيه.

ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية _قدس الله روحه_ من ذلك أمـراً لـم أشـاهده مـن غيـره، وكان يقول كثيراً: مالي شـيء، ولا منـي شـيء، ولا فيَّ شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنـــا المكـــدِّي وابـــن المكـــــــــــــــدي وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: واللـه إنـي

[1] _ صيد الخاطر ص736 _ 739.
[2] _ انظر ذيل طبقات الحنابلة 1/156.

إلى الآن أجدِّد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً.

وبعث إليَّ في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسيكين في مجموع حالاتي

أنا الظلومُ لنفسي وهي ظالمتي ... والخيرُ إن يأتِنا من عنده ياتي

لا أستطيع لنفسي جَلب منفعةٍ ... ولا عن النفس لي دفع المضراتِ

وليس لي دونه ربٌّ يدبرني ... ولا شفيعٌ إذا حاطت خطيئاتي

إلا بإذن من الرحمن خالقِنا ... إلى الشفيع كما قد جا في الآياتِ

ولست أملك شيئاً دونه أبداً ... ولا شريكٌ أنا في بعض ذراتِ

ولا ظهير له كي يستعين به ... كما يكون لأرباب الولاياتِ

والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبداً ... كما الغنى أبداً وصفٌ له ذاتي

وهذه الحالُ حال الخلقِ أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له آتي

فمن بغى مطلباً من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي

والحمد لله ملءُ الكون أجمعه ... ما كان منه وما مِنْ بَعْدُ قد ياتي (1)

[1] _ مدارج السالكين لابن القيم 520 _ 521.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبعد:

ففي خاتمة التطواف في تفصيل أدب الموعظة أتوجه بالشكر إلى المولى _جل وعلا_ على تيسيره وإعانته.

وأسأله _عز وجل_ أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده، موافقاً لسنة نبيه ".

وبعد شكر الله أشكر كل من أعان على هذا العمل بمشورة، أو تصحيح، أو مراجعة، أو ما جرى مجرى ذلك، وأسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل ذلك ذخراً لهم يوم يلقونه.

كما أعتذر للقراء الكرام إن كان هناك من إثقال، أو إملال، وآمل منهم موافاة أخيهم بما يرونه من ملحوظة، أو زيادة فائدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.